مِائَةُ عَامٍ فِي السِّرْدَابِ

عنوان الكتاب: مائة عام في السرداب
الموضوع: رواية
التأليف: محمد رمضان
مراجعة لغوية: سواح للخدمات عبر الإنترنت
الإخراج الفنيّ: عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف: محمود طارق
رقم الإيداع: 2020/4060
الترقيم الدولي: 978-977-844-106-2
الناشر: دار الزيات للنشر والتوزيع
Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع
E_mail: shahnda71@gmail.com
مجلس الإدارة/ د.شاهندة الزيات
المدير العام/ أ.محمود محروس إبراهيم
Tel: 01066736765
01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم /٤٩٣٥١

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

رواية

مائة عام في السرداب

الكاتب

محمد رمضان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ

[الكهف: ٥٤]

سُورَةُ الْكَهْفِ

مُقَدِّمَة

عزيزي القارئ،،

ستبدأ معك تلك الرواية بأسلوب كتابة فصيح بعض الشيء . . وستجد فيما بعدُ تغيرا جذريا في أسلوب الحوار .

هذا فقط لأوضح لك كم انتهكت لغتنا الجميلة . . وكم فقدنا من مفردات في أدب الحوار، انتهكت المعاني وأصبحت المفردات بلا قيمة . . فقيرة للأسف لا تستطيع أن تتذوق معي الحوار عندما أتحدث عن حقبتنا التي نعيشها الآن إلا بأسلوب هذا الزمان !

ويبقى السؤال . . هل سيحدث تدنٍّ أكثر من ذلك ؟

محمد رمضان سعيد

كلمة الكاتب

نُسجت هذه الرواية من وحي خيال الكاتب.. ولكنها تمُت للواقع بِصلة ففي عام ١٩٩٧ استيقظ الشعب المصري على كارثة مدوية كانت أشد صعقًا من كارثة الزلزال الذي كان يسبق هذا التاريخ بخمسة أعوام.

تحت قبة قصر البارون دارت الأحداث وتبدلت الشخصيات بأخرى.

مائة عام في السرادب.. سأصطحبك معي عزيزي القارئ بين سطور تلك الرواية في رحلة سنذهب فيها إلى الماضي نولد مع من ولد ونحتضر مع من احتضر وسنعود مرة أخرى إلى زمننا هذا.. لنتعرف بين تلك السطور على الحقيقة الكاملة ونفتح ملفا أغلق لأكثر من عشرين عاما.. قضية اختفت ضحاياها فمنهم من ذهب إلى بارئه ومنهم من ترك الوطن والأهل.

مائة عام من السرداب.. عامان من الكتابة.. عامان من التدقيق والتحري.. عامان كنت فيهما أسكن في كنف تلك الأماكن بوجداني وأتحدث مع شخصيات نسجتها بقلمي لتخرج للنور روايتي.

محمد رمضان سعيد

صحراء شرق القاهرة- ضاحية هليوبوليس – يوليو ١٩١١

كانت الشمس في أشد وهجها والرمال تضيء نورا كالألماس.. ووسط تلك الصحراء الشاسعة تسير السيارة سمبلكس ٦٠. كانت تسير ببطء شديد كطفل يحبو في سنواته الأولى وفجأة زمجر المحرك وتوقفت السيارة عن السير.

نظرت رين إلى ألبرت بغضب وأردفت بالفرنسية:

يا إلهي Oh mon Dieu

حينها قال ألبرت:

C'est vraiment une mauvaise idée

إنها حقًّا فكرة سيئة.

ثم نظر ألبرت إلى قائد المركبة وقال له: ماذا حدث؟!

السائق: لا أعلم يا سيدي.

(ثم قام بفتح باب العربة ليرى ماذا حدث)

نظر ألبرت إلى رين: يا ليتنا اتخذنا دوكار بدلا عن تلك البدعة الزائفة.. الخيل صنع الرب أفضل بكثير من اختراعات البشر.

رين أمسكت بيدها القبعة وأنزلتها من فوق شعرها الأصفر الكستنائي لتفصح عن وجه أبيض مشرق نحيف بعض الشيء ولكنه يتحلى ببعض لمسات النمش البني أسفل عينين خضراوين..

ثم أردفت: الحرارة مرتفعة للغاية..

ثم تنفست الصعداء وقالت: شيء صعب جدا.

هبط ألبرت ذلك البدين قصير القامة بعض الشيء.. يتنافر قميصه من البنطال بعد أن خلع سترته الإنجليزية كثيف الشعر طويل اللحية عينان خضراوان ووجهه مستدير يبرز منه أنف طويل.. هبط من السيارة مخاطبا السائق الواقف أمام ماكينة السيارة: هل من جديد يا رجل؟

السائق يائسا: من الواضح أننا سنظل هنا طويلا من الأفضل أن تنتظر بداخل العربة حتى يأتي من نستنجد به.

ألبرت: ننتظر؟! بالطبع هذا هراء..

ثم نظر يمينه ويساره وهو واضع يده اليمنى منتصف جبهته ليظلل على عينيه من قوة وهج الشمس.

لا أحد هنا.. إنه مكان ناءٍ جدا الصحراء من كل اتجاه.

ظهر من بعيد رجل فوق ظهر حمار.

السائق: انظر يا سيدي... إني أرى أحدهم قادما نحونا من بعيد!

صاح ألبرت بعلو صوته: يا رجل يا رجل!

اقترب الرجل منهما. كان أسمر اللون في منتصف العقد السادس من عمره يرتدي جلبابا أبيض.

الرجل: السلام عليكم.

ألبرت: وعليكم السلام.

الرجل: ماذا بكم هل أنتم تائهون؟!

السائق: لا بل تعطلت بنا العربة ولا نعلم ماذا نحن فاعلون.

ألبرت: هل معك ماء!

الرجل: نعم.. خذ.

أمسك ألبرت القِنّينة وأعطاها لرين لترتوي

الرجل: أنا عندي اقتراح.. يوجد هنا موقع ليس ببعيد قصر أنا أعمل به تحت الإنشاء.. ممكن أن تستريحوا به قليلا حتى يأتي من يصلح هذه العربة.

السائق: هذا من الأفضل يا سيدي اذهبا أنتما وأنا هنا أنتظر.. لأني لا أستطيع أن أترك العربة وحدها.

هبطت رين من السيارة وركبت فوق الحمار وأمسك الرجل بلجامه وبجواره ألبرت.

ألبرت: ما اسمك يا هذا؟

الرجل: موسى.

ألبرت: وماذا تعمل؟

موسى: أعمل حارسا هنا بموقع تحت الإنشاء.

ألبرت: هل هذا الموقع بعيد؟

موسى: لا بمجرد أن نصعد تلك الهضبة الصغيرة التي أمامنا هذه سنرى القصر.

ألبرت: جيد.. أنا اسمي ألبرت وهذه رين زوجتي وأشار بيده نحو زوجته.. فابتسمت رين لموسى ابتسامة مصطنعة تحية.

نظر ألبرت إلى رين ولكنها غربت وجهها عنه بغضب شديد وتنفست الصعداء... وهنا ظهر القصر. شهق ألبرت من جمال القصر إنه حقا تحت الإنشاء ولكنه كان أشبه بلوحة فنية في غاية الروعة.. توقف ألبرت قليلا وسبقه موسى ورين نحو خمسة أمتار دون أن يشعر وعندما شعرت رين صاحت به فاقترب منهما دون أن تغرب عينه عن القصر فتعثرت قدمه بحجر فوقع على ركبتيه فأسرع موسى ليساعده في الوقوف.. ما هذا يا موسى؟

موسى: إنه القصر الذي أعمل به.

ألبرت: إنه في غاية الروعة.

اقترب ألبرت أكثر من القصر.. كان القصر يقع على مساحة حوالي اثني عشر ألف متر وشرفاته الخارجية محمولة على تماثيل الفيلة الهندية وبجوار القصر برج كبير على الجانب الأيسر يتألف من أربعة طوابق يربطها سلم حلزوني تتحلى جوانبه الخشبية بالرخام.

ألبرت: هذا القصر يشبه معبد أنكورات بكمبوديا.. مِلك مَن هذا القصر يا موسى؟

موسى: إنه ملك الخواجة إدوارد.. إنه ثري بلجيكي ويقولون إنه حصل على لقب البارون من ملك فرنسا.. اسمه البارون إدوارد أمبيان

دخل ألبرت القصر.. كان القصر مليئا بالكثير من العمال الكل يعمل في جد مهندسون من فرنسا وعمالة من مصر

موسى: يا خواجة.. تفضل.

وأشار بيده نحو سلم يصل إلى سرداب تحت الأرض.

هبط موسى وخلفه رين وألبرت انخفض مستوى الإضاءة بعض الشيء.. فتح موسى باب غرفته وأشعل شمعة بداخل مصباح كبير فعم الضوء المكان.. كانت غرفة صغيرة بها أريكة خشبية فوقها حصيرة وقطعة من السجاد النوبي وأمام الأريكة مصحف كبير موضوع على حامل خشبي في مستوى شخص جالس كان المصحف منبسطا على حامله.. جلس ألبرت على الأريكة وجلست بجواره رين.. ثم نظر ألبرت إلى المصحف وقرأ بصوت عال: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[١].. ثم أردف قائلا:

-إني أحب سورة الكهف كثيرا.

---

١ الكهف: ٣٥.

نظر موسى بدهشة وقال: ألست أجنبيا؟!

ألبرت: أنا فرنسي يهودي ولكني قرأت كثيرا في القرآن الكريم.

موسى: لماذا؟ أتريد أن تعتنق الإسلام؟ هكذا قالها بمرح.

ألبرت: لا أنا يهودي وسأظل يهوديا ولكني أحب قصص القرآن الكريم فسورة الكهف على سبيل المثال بها أربع قصص في غاية الروعة.. إنني تعلمت العربية من أجل ذلك من أجل أن أستطيع فهم القرآن يا موسى.

موسى: ولماذا كل هذا ما دمت لن تعتنق الإسلام؟!

ألبرت: لإنني كاتب موسى، وأريد أن أكتب قصة مشوقة.. لي صديق قال لي إن أردت أن تكتب قصة رائعة عليك بالبحث الكثير في التاريخ والدين لتخرج بعمل جيد.. وفي إحدى المرات سمعت درسا في أحد المساجد هنا بالقاهرة عن قصة رائعة علمت أنها من القرآن فقررت من حينها أن أتعلم العربية وأقرأ القرآن.

موسى: وهل لك من أعمال من قبل؟

ألبرت: لا ولكنني سوف أكتب شيئا جيدا قريبا.

موسى: ولكنني لم أعِ لماذا أنت كنت في الصحراء من أين أتيت؟!

ألبرت: كنت أنا ورين زوجتي (وأشار إلى زوجته) في زيارة جاويدان هانم زوجة السلطان عباس حلمي.

موسى شاهقا: جاويدان هانم مرة واحدة والسلطان!

ألبرت: نعم موسى إنهم أصدقاء لنا جاويدان هانم تعرفنا عليها من خلال نزهة بجنيف ثم أضفناهم لدينا في منزلنا هناك.

موسى: هل أنت من سويسرا؟

ألبرت: لا فرنسي كما قلت لك من قبل ولكن لدي بيت والدي إنه من سويسرا.. من الواضح أنك مطلع يا موسى وتعلم عن الكثير من البلاد.

موسى هم واقفا وأزاح قطعة من القماش من فوق صندوق خشبي ليفصح عن نحو مائة كتاب..

أشار إليهما وأردف: هذا هو الكنز الحقيقي يا سيدي.. أنا قرأت نحو مائتي كتاب في شتى المجالات في الجغرافيا والأدب قرأت في الأدب الفرنسي والإنجليزي وقرأت في الطب والفيزياء.. نحن العرب سيدي نحن بناة العلوم والمعرفة فلا يصح لنا أن نعيش جهلاء أنا أعلم الكثير بفضل الله عن سويسرا والنمسا والدنمارك والهند وبلاد فارس.

نظر ألبرت إلى موسى بإعجاب وقال له: أعتقد موسى أننا سنكون أصدقاء.

موسى: لي الشرف سيدي

همست رين في أذن ألبرت.

ألبرت: هل يوجد هنا دورة مياه موسى؟

موسى: نعم من هنا وأشار إلى باب صغير بجوار باب غرفته.

همت رين واقفة وذهبت إلى دورة المياه.

موسى: زوجتك يا سيد ألبرت من الواضح أنها متعبة للغاية.

ألبرت: نعم بعض الشيء.. ولكنها أيضا لا تتحدث العربية فلذلك ستجدها صامتة.

موسى: أنا آسف سيدي (قالها وكأنه تذكر شيئا ما) أخذنا الحديث ولم أقدم لكما شيئا.

ألبرت: لا عليك يا موسى.. لا أريد شيئا.. كل ما أريده عربة حنطور تأخذنا إلى حي الإنشاء بالمنيرة

خرجت رين من دورة المياه وأردفت:هيا بنا ألبرت.

ألبرت: فلنتظر قليلا حتى تأتي عربة Attendons un peu que sa voiture vienne

صاح أحدهم من الدور العلوي: موسى.. موسى.. أين أنت يا موسى؟

موسى: سأصعد يا سيدي إنه المهندس مارسيل.

رين: Allons-y

(دعنا نذهب)

صعد ألبرت ورين الدرج ذاهبين إلى بهو القصر للخروج.

صاح رجل في أول العقد الخامس من عمره يرتدي بدلة سوداء ممسكا بيده لوحات هندسية: انتظرا هنا ولا تتحركا.. هكذا قالها وهو يهرول نحو ألبرت ورين.

نظر ألبرت نحوه: من؟ الكسباندر!

الكسباندر: نعم أنا الكسباندر مارسيل.. كيف أنت هنا؟! يا لها من صدفة عجيبة حقا!

ألبرت: منذ متى وأنت تتحدث العربية الكسباندر؟ وماذا تفعل هنا يا رجل؟

الكسباندر: أتحدث العربية من نحو عام ولكني غير ضليع مثلك يا ألبرت... أنا أعمل هنا أنا من وضعت التصميمات الهندسية لهذا القصر.. وأنت ماذا أتى بك إلى هنا؟! أخبرني حقا!

ألبرت: تعطلت بي السيارة فأتيت مع الحارس الذي يعمل هنا.

الكسباندر: يا له من حظ جيد يا صديق طفولتي..

ألبرت: الفضل يرجع إلى موسى فهو من عرض علينا أن نستريح هنا.

الكسباندر موجها كلامه إلى موسى: أتعلم يا موسى أن هذا الرجل صديقي منذ الطفولة ولكنني أكبر منه بنحو اثني عشر عاما. كنا جيرانا في مونبلييه والده كان صديقا لوالدي منذ أن أتى من جينف ولكننا رحلنا إلى لندن.

ثم نظر الكسباندر إلى ألبرت: مر الكثير يا عزيزي من العمر أهذا البدين هو الطفل الذي كان يرقد أمامي في حديقة المنزل؟

ثم نظر إلى رين: عفوا سيدتي أخذني الحديث ولم أتعرف عليكِ.. ثم أمسك يدها اليمنى وانحنى لتقبيلها

ألبرت: إنها رين زوجتي.

ابتسمت رين وأمسكت ذيل فستانها من الجنبين وهي تسقط بجسدها كليا كفراشة تفترش جناحيها ردا منها للتحية (فهذه هي تحية الأميرات وأبناء الذوات)

الكسباندر: هل أنتم تعيشون بالمحروسة أم رحلة وعائدون مرة أخرى لفرنسا؟

ألبرت: لا ماكثون هنا نحو شهرين وسنعود.

الكسباندر: ما دام الأمر هكذا يجب أن تقبلوا دعوتي اليوم على العشاء.

ألبرت: اعذرني اليوم أنا متعب للغاية وعندي موعد مهم الساعة الثانية ظهرا.

الكسباندر أخرج ساعة الجيب الخاصة به: الساعة الآن الواحدة.. إلى أين أنت ذاهب؟

ألبرت: أريد أن أذهب إلى الأزبكية.

الكسباندر: موسى.

موسى: نعم يا "بشمهندس".

الكسباندر: اذهب إلى العم نوح وقل له بأن يقوم بتجهيز العربة ليوصل ألبرت ورين حيث يريدان.

موسى: في الحال سيدي.

الكسباندر: على أي حال سأسامحك يا ألبرت اليوم ولكن يجب أن نلتقي يوما ما.

ألبرت: على الرحب والسعة وقتما تشاء.

الكسباندر: يوم الأحد الثاني من الشهر القادم سيقام هنا في القصر افتتاح كبير سيقيمه الأمبيان إدوارد بمناسبة بناء القصر.. ما رأيك أن تأتي أنت ورين؟

ألبرت: يا ليت يا صديقي فهذا القصر منذ أن رأيته وشعرت تجاهه بشيء غريب وكأنه سيغير حياتي بالرغم من أنني عندما دخلته شعرت بضيق في صدري!.. ولكنني معجب به للغاية.

الكسباندر: إنه لم يكتمل بعد.. ولكني أؤكد لك أنك ستصاب بالدهشة في الافتتاح عندما تراه مكتمل البناء.

خطا الثلاثة معا عدة خطوات نحو الباب الرئيسي للقصر كان القصر أعلى من مستوى الأرض نحو عشر درجات رخامية غير مكتملة التجهيز هبطوا الدرج بخطوات متعثرة لعدم تمهيد الدرج للسير وكانت العربة الحنطور في انتظارهم.

ربت الكسباندر يد ألبرت وأردف: في انتظاركم ليلة الحفل.. ثم نظر إلى رين وأمسك يدها وقبّلها ثانية..

صعدت رين بعد أن ردت التحية كما فعلت من قبل.. ثم نظر ألبرت إلى موسى ومد يده له بالتحية وربض كتفه وقال: شكرا لك موسى على ضيافتك لنا.. ثم نظر إلى الكسباندر وأكمل حديثه: وإعادة ذكرياتنا الجميلة.. ثم ابتسم وركب العربة بجوار رين وانطلقت العربة.

****

القصر

بعد عدة أيام

في الصباح الباكر

كان موسى جالسا في غرفته يقرأ ما تيسر من القرآن الكريم بصوت مسموع.. كان في صوته خشوع تقشعر له الأبدان تظنه صوتا أتى من السماء وكأنها ملائكة تغرد بكلمات الله.. وقف ألبرت خارج الغرفة ليستمع لما يرتله موسى ولكن توقف موسى بعد أن لمح ظلا خارج الغرفة.

موسى: من بالخارج؟

ألبرت: أنا.. قالها ثم اقترب من موسى

موسى: الخواجة.. أهلا.. أهلا.. منذ متى وأنت هنا..؟ هلت الأنوار.

ألبرت: لا أريد أن تتوقف.. أكمل، صوتك في غاية الروعة

ابتسم موسى.. ثم أردف: أعني لماذا أنت هنا..؟ من أجل هذا؟ وأمسك بيده رابطة عنق رين التي تركتها بالمرحاض.

ألبرت: كنت أشعر أننا سنلتقي مرة أخرى.. فحالفنا الحظ.

موسى: لم أراها إلا اليوم.. كنت سأتركها مع البشمهندس.. أعلم أنكم ستتقابلون.

ألبرت: ما عندك يزداد يا موسى.. أنت رجل طيب.

موسى: من الواجب أن تحتسي معي شايا.. ولا تخذلني تلك المرة.

ألبرت: لن أخذلك.. سأحتسي معك الشاي

موسى: أين زوجتك؟

ألبرت: إنها متعبة في المنزل

موسى: كان الله في عونها.. من أي شيء تعاني؟

ألبرت: تريد أن تنجب.

موسى: هذا شيء بيد الله وليس للمرء أن يتدخل

ألبرت: أعلم موسى أن هذا بيد الرب فقط ولكننا متزوجون منذ أربعة أعوام ولم ننجب حتى الآن.. ذهبنا للكثير من الأطباء دون جدوى.

نظر موسى إليه وابتسم.. ثم أردف: تأكد أن الله لا يمنع عن عباده شيئا إلا وكان هذا في صالحهم.

ألبرت: وأي مصلحة للعبد في أن يحرم من الذرية؟!.. حديثك عجيب أيها الرجل العجوز.

موسى: وما العجب في حديثي؟

ألبرت: ألست مسلما؟

موسى: نعم.. والحمد لله.. وما العلاقة؟

ألبرت: أليس ربكم هو من يقول: المال والبنون زينة الحياة؟

موسى: أنت على علم بكثير من القرآن.. وهذا يثير دهشتي.. ولكن للعبد الكثير والكثير منا من يمتلك المال ومنا الذرية ومنا راحة الوجدان.. كثيرة هي النعم وتختلف ولكل منا رزقه.

ألبرت: ولماذا لا يعطي الرب كل عباده كل النعم؟.. لماذا نحرم من بعضها ونراها في أيدي غيرنا..؟ لماذا يريد الرب أن ننظر لغيرنا ونتمنى أن نمتلك ما يمتلكه؟.. أيريد الرب أن تمرض النفوس بالحقد والغيرة؟

موسى: حاشا لله.. ولكن إذا امتلك العبد كل النعم سيتمرد.. ولن يلجأ إلى بارئه لأنه سيظن أنه لا يحتاجه.

ألبرت: أيريد الرب أن يتذلل له العبد؟!

موسى: لا.. يريد أن يمنعه من الفتن يريد أن يجعله صالحا غير مكترث بالدنيا.. لا يريد الله من العبد أن ينشغل بما يمتلكه عنه.. لن يذكر العبد ربه ما دام يظن أنه لا يحتاج إليه.

ألبرت: هل لو رزقت بطفل ستختل موازين الحياة؟

موسى: لا ولكن من الممكن أن تتغير حياتك.. من الممكن أن ترزق بمن يكون لك عاقّا.. أتحب أن تنجب عاقا يعكر صفو حياتك؟

ألبرت: ولماذا لا يكون صالحا؟.. لماذا يكون عاقا؟

أمسك موسى بكوب فارغ وصب بداخله مياه حتى امتلأ وظل يسكب ثم قال: هل يستطيع هذا الكوب أن يتحمل ويسع أكثر من مساحته؟

ألبرت: لا.. بالطبع لا.

موسى: هكذا هو المرء لا يستطيع أن ينعم بأكثر مما كتب له.

ألبرت: كل ما أريده هو طفل.. ستصبح حياتي الزوجية أجمل.. أي شيء في الدنيا ممكن أن أتنازل عنه في مقابل طفل.

موسى: ناجِ ربك.. فبالدعاء يصبح المستحيل حقيقة..

ثم اقترب من الأركية ورفع غطاءها وأمسك بقنينة وأعطاها لألبرت: خذ هذه.

ألبرت: ما هذا؟

موسى: ضع هذا الزيت في طعام زوجتك وإن أراد الله لكما شيئا سيكون ولو بعد حين.

أخذ ألبرت القنينة والرابطة.. ثم أردف: كلامك حكيم وأفعالك لا تنم عن الحكمة

موسى: إن أراد الله شيئا سيكون..

ثم ربت كتفه.

******

مر نحو شهر كامل الكل يعمل بجد القصر يكتمل البناء ويتضح زهوه أكثر واكثر.. كل يوم تكاد تتحدث الجدران من لمسات الإبداع الفني التي تزدهي بها.. وقف الكسباندر يتوسط بهو القصر سعيد بعظمة تلك اللوحة الفنية.. يعمل الكسباندر في هذا القصر بكل ما أتي من قوة.. وعده البارون بمكافأة مالية ضخمة بجانب أنه سيعطيه شقة كبيرة في الحي الذي سيقام بجانب القصر.. كل ذلك إذا تسلم القصر كما يريد.. بجانب أيضا أن أمبيان شخصية قاسية حادة إذا لم يحصل على ما يريد سيكون الكسباندر حينها محط حساب عسير.

الكسباندر: من؟ ألبرت.. ماذا أتى بك إلى هنا؟

ألبرت: كيف حالك يا الكسباندر؟

الكسباندر: بخير.. كنت سأرسل إليك خطابا أن موعد افتتاح القصر تأخر لثلاثة أشهر أخرى نظرا لتعطل الأعمال بعض الشيء.

ألبرت: سآتي بكل تأكيد.

الكسباندر: ولكن لم تجبني بعد.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

ألبرت: أريد موسى.. أين هو؟

الكسباندر: إنه في غرفته بالأسفل.

ألبرت: حسنا سأذهب إليه

هنا ظهر موسى.

ألبرت: موسى

موسى: من؟.. الخواجة.. مرحبا

أمسك ألبرت موسى من يده بقوة وأردف: أريد أن أتحدث معك بعيدا.

موسى: هيا بنا إلى غرفتي

هبط الاثنان إلى الغرفة.

حملق ألبرت بموسى عدة ثوان.. وأردف: هل أنت بشر.. أم ماذا؟.. أنت ليست بشرا.. بكل تأكد أنت لست بشرا!

موسى: ما الأمر؟

ألبرت: رين.

موسى: ماذا بها؟!

ألبرت: إنها.. إنها.. ثم ابتسم.. حامل

موسى: بارك الله لكما

ألبرت: أنا على أتم الاستعداد أن أفعل أي شيء من أجلك.. أنت من جعتلها تنجب

موسى: ربنا.. هو اللي بيرزق مش العبد.

ألبرت: بمجرد ما أخذت الزيت.. ظهر الحمل.. أنت من أعطيتني هذا الدواء.. من أين أتيت به؟

موسى: من عند الله.

ألبرت: هل لك كرامات.. هل تتصل بالله؟

موسى: نعم.

ألبرت مندهشا: كيف تتصل بالله؟

موسى: من خلال الصلاة والدعاء.

ألبرت: هل تمزح معي.

موسى: لا.

ألبرت: وكيف حصلت على هذا الدواء؟.. هل جاء لك في صلاتك؟! قالها ساخرا.

موسى: لا.. من الأرض.. أليست الأرض من صنع الله؟

ألبرت: وكيف عرفت أن هذا الدواء يجعل العاقر تنجب!

موسى: أنا رجل بدوي طول عمري عايش في الصحرا والأرض فيها خير كتير فيها مأكل ومشرب ودواء.. وأهالينا علمونا أننا نتعالج بإيدنا وياما مر علينا كتيير.. الشفاء يأتي من عند الله.. ولكن في صورة تتناسب مع الزمن.

ألبرت: كنا لا نتحدث أنا ورين.. عندما التقينا بك في الصحراء كنا عائدينِ من عند الحكيم.. أبلغنا أننا لن ننجب أبدا.. كانت رين تظن أنني السبب كانت تعتقد أني عقيم.. لذلك عندما رأيتَها معي كانت في حالة غضب.. توفيت أختها الصغيرة على يدها كانت

حينها في الخامسة من عمرها وأختها في السنة الأولى من عمرها.. كانت تلك الحادثة لها أثر في نفسها كبير.. تزوجت من أجل أن تنجب لتعوض نفسها بطفل يكون عونا لها.

موسى: والآن رزقكم الرب.

ألبرت: ولكنك مخطئ!

موسى: في ماذا؟

ألبرت: ألست أنت من قلتَ بأن الإناء لن يستطيع أن يسع أكثر من حجمه؟!

موسى: بلى

ألبرت: الآن سيرزقني الله الطفل.. دون أن أفقد شيئا.

موسى: لا تعلم ماذا يخبئ لك الدهر.

******

مرت الثلاثة أشهر وما زال الجنين في رحم رين يرزقه الله وما زال ألبرت كل يوم في غرفة موسى أصبحا صديقين قص كل منهما قصته على الثاني.. لم يخبئ أي منهما عن الآخر شيئا.. كانت تمر الساعات فيما بينهما ما بين الحديث عن حياتهما وما بين القراءة.. قرأ ألبرت الكثير من الكتب التي يقتنيها موسى.. وقرأ موسى كتبا أيضا كان ألبرت يجلبها معه.. والأهم من ذلك وذاك أن ألبرت حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وقرأ الكثير من الأحاديث.. تحدثا في كل شيء وعن كل شيء.. وعن التشابه الكبير بين الديانتين اليهودية والإسلامية.. تحدثا عن بني إسرائيل وكيف ظلموا أنفسهم وتحدثا عن النبي محمد (ﷺ).. وجاء اليوم الموعود إنه افتتاح القصر.

******

ضاحية هليوبوليس – قصر البارون أمبيان

حديقة كبيرة للغاية تحاط بسور كبير فوقه مصابيح بداخلها شموع ترسم مع ضي القمر لوحة كلاسكية هادئة.. في الخارج السيارات الدوكار تنتظر دورها في الدخول والكثير من السُّيّاس ينظمون انتظار السيارات.. تماثيل كبيرة لجنود تحمل سيوفا وفوق رؤوسها نسور ورؤوس أعدائهم تحت أقدامهم.. تماثيل الفيلة تحمل الشرف.. وبعد أن تصعد السلم الرخامي الكبير ينتظرك منظمو الحفل يطلبون منك إبراز الدعوة.. تمر بجانبهم لترى الحفل الأسطوري الضخم. في بهو القصر وتحت قبته عدد كبير من المدعوين هناك السلطان عباس حلمي وزوجته جاويدان هانم.. وهناك أيضا البرنس فؤاد قبل أن يصبح ملك مصر.. وهناك الكثير والكثير من رجال الدولة.. والأجانب في كل بقعة من بقاع القصر وكبار رجال الدولة العثمانية.. الخدم في كل مكان يجبون بهو القصر حاملين الفودكا والشمبانيا الفرنسي الفاخرة.. حاملين صحونا مليئة بكل ما لذ وطاب..

صوت قرع الكؤوس.. ضحكات نسائية عالية.. موسيقى هادئة.. كل هذا امتزج معا لتعزف سيمفونية أجواء الحفل. ظهر البارون على الدرج يهبط من الدور العلوي ممسكا بيد زوجته نظر إليهما الجميع كانت له هيبة كبيرة الكل هنا ينظر للبارون ويحسده على القصر.. الكثير عرض عليه الشراء ولكنه رفض.. هبط وزوجته ليرحبا بالجميع ثم انسجموا في أجواء الحفل.

كان الكسباندر واقفا مع أحدهم وفي يده كأس من الشمبانيا.. دخل ألبرت إلى القصر

الكسباندر: ألبرت..

ألبرت: الكسباندر.. كيف حالك؟

الكسباندر: بخير.. ما رأيك في القصر؟

ألبرت نظر للقصر في جوانبه كافة وأردف وهو ينظر إلى إحدى اللوحات: في غاية الروعة

الكسباندر: كل هذا من صنعي أنا.

ألبرت: عمل جيد يا صديقي.

الكسباندر: الآن سأذهب إلى البارون انتظرني سأعود إليك.

ألبرت: جيد.

وقف ألبرت وحيدا لا يرى أحد يعرفه فقرر أن يهبط للدور الأسفل لملاقاة موسى فهما لم يتقابلا منذ ثلاثة أسابيع بسبب غلق القصر لموعد الافتتاح.

هبط ألبرت إلى غرفة موسى فوجده ساجدا يصلي العشاء.. دخل ألبرت الغرفة وجلس على الأريكة ينتظره.. انتهى موسى من صلاته ثم قام ورحب بألبرت كان ينظر له وكأنه يعلم أنه لن يره مرة أخرى شرد في وجهه نحو نصف دقيقة.. شعر ألبرت بالقلق نحو صاحبه.. ربت كتفه

ألبرت: ماذا بك يا موسى؟ هل أنت متعب؟

موسى: لا.

ألبرت: أراك على غير عادتك.. ولكن وجهك رغم سماره فإنني أراه منيرا اليوم.

موسى: من الممكن أن يكون ذلك رضا من الله.

ألبرت: أنت رجل صالح يا موسى.. أنت رجل طيب.

هنا صاح الكسباندر مناديا.. موسى.. موسى.. اصعد يا رجل.

موسى: سأصعد للمهندس الكسباندر وأعود لك مرة أخرى .

ألبرت: سأنتظرك.. سأنتظرك يا موسى.

كان الكسباندر يريد من موسى أن يساعد العمالة في ربط بعض الأقراص الحديدية الخاصة بمصعد القصر.. وذلك لأن البارون أراد أن يجربه ولكن حدث به عطل مفاجئ.. دخل موسى أسفل المصعد بالبدروم ليربط أحد الفواصل الحديدية دون أن يراه أحد.. وفجأة سحب أحدهم عصا السير الحديدية.. سقط جسد المصعد بالكامل فوق موسى وهو يصرخ.. سمع ألبرت صوت صرخة صاحبه فهرول للغرفة المجاورة فوجد صاحبه تحت الجسد الحديدي ودماءه منثورة على الحائط حاول أن يخرجه.. رأى يده فحاول الإمساك بها.. أمسكها ولكنها ارتعشت وفارق الحياة.. هنا هبط العمال والكسباندر.. شهقوا من روعة المشهد.. أما عن ألبرت فقد ظل محملق العين ممسكا بيد صاحبه

وعيناه تغمرهما الدموع دون أن يتفوه بكلمة جلس على ركبتيه ولطخت ثيابه بدماء صاحبه..

صاح الكسباندر: ارفعوا المصعد

رفع المصعد وظهر الجسد ممزقا تغمره الدماء كان المشهد قاسيا لن يتحمله ألبرت ففقد النطق وظل يشير للواقفين فأخذه أحد العمال إلى غرفة موسى

أما الكسباندر فأمر العمال أن يدخلوا الجسد إلى غرفة موسى ويخرجوا ألبرت وأمر أحد السائقين أن يوصل ألبرت إلى منزله.

****

كلوت بك - الأزبكية

بعد نحو أربعة أشهر كانت رين على وشك أن تلد رضيعها كانت جالسة بجوار ألبرت ما زال يعاني من فقد النطق ما زال ينظر لسقف الغرفة وعيناه يغمرهما الدموع.. عندما تتركه رين وحده يمسك بمصحف كان موسى أعطاه له ويقرأ بعينيه كلمات الحق.

فتحت رين الغرفة وأردفت: تفضل.

كان الكسباندر.

الكسابندر مخاطبا رين: أريد فنجان قهوة.

رين: على الرحب.. قالتها ثم انصرفت وأغلقت الباب.

الكسباندر جلس على مقعد بجانب الفراش.. ثم أردف: ألبرت أنا أعلم أنك كنت صديقا مقربا لموسى.. لكن ما حدث ليس بيدي.. إنها إرادة الرب ألبرت.. لا أحد يعلم ما حدث غيرى أنا وأنت والاثنان العاملان معي وهما أقارب لي.. أنا قمت بدفن الجثة في الغرفة وبنينا على الباب الخاص بها جدارا حتى لا يعلم أحد بما حدث.. ألبرت إن تحدثت عن تلك الحادثة فلن يتضرر أحد غيري.. بجانب أنني سأفقد عملي مع البارون في الحي الذي سوف ينشئه.. ألبرت مات من مات.. نحن الأحياء أولى بالحياة.. أرجوك صديقي لا تتحدث.. لا تتحدث حتى مع زوجتك.

هنا دخلت رين وقدمت القهوة.

الكسباندر: لا شكرا سأنصرف.. عندي موعد مهم.

حدث كل هذا دون أن يتفوه ألبرت بكلمة..

مرت الأيام على تلك الوتيرة لا جديد.. يزداد عمر الجنين في رحم رين.. وتزداد لحية ألبرت.. ويزداد معها ساعات الصمت الكئيبة وتزداد أيضا أوراق مذكراته.. تلك الأوراق والقلم هي فقط من أخبرهم بكل ما حدث! جاء موعد ولادة رين صرخت فأغاثتها جارتها.. سمع ألبرت صوت بكاء الطفل.. وسمع أيضا صوت موسى عندما قال: لا تعلم ما يخبئ لك الدهر.. نظر إلى سقف الغرفة وأشار بالسبابة وقال.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.. وغادر الحياة وصعدت روحه إلى ربها.

الجارة: مبروك ولد.. ماذا ستسمينه؟

رين أمسكت بورقة أعطاها لها ألبرت البارحة وكأنها وصية وقرأت.. موسى.

الجارة: يا له من اسم جميل.. موسى كليم الله

رين: همت من نومتها وجلست على فرشها ثم تناولت رضيعها من يد جارتها وضمته إلى صدرها ثم أبعدته عن صدرها قليلا ونظرت إلى عينه وأردفت: موسى.. موسى ألبرت شمعون.

******

٢٢- يناير – ٢٠١٩

ميناء القاهرة الجوي

(خارج المطار في ساحة انتظار المسافرين.. كان هناك سائقو أجرة يتشاجرون)

سائق ١: أنت اللي غلطان وطماع كمان.. كل مرة تحلق على الزبون كأنك واقف لوحدك وربنا لو عملتها تاني مش هيحصلك كويس.

سائق ٢: ولا تعرف تعمل معايا حاجة أصلا.. أنت نسيت نفسك ولا إيه؟

(اقترب منهما رجل كبير تبدو عليه الحكمة)

الرجل: في إيه يا أسطاوات؟

سائق ٢: ما فيش حاجة يا عم جمال.

سائق ١: لأ في.. يرضيك يا عم جمال يخطف مني زبونين امبارح ومخليني مروح إيد ورا وإيد قدام؟

جمال: يا جدعان عيب والله الرزق بإيد ربنا.. وبعدين مش احنا قسمنها وعملين دور لكل واحد فينا يطلع طلعته؟

سائق ١: والبيه مش عامل مقام لحد ولا همه حد.

سائق ٢: لأ يا حبيبي متوقعنيش في غلط..

(نظر إلى عم جمال وأردف: اللي تؤمر بيه يا عم جمال سيف على رقبتنا.. أنت كبير المكان من أيام ما كنت باجي مع أبويا الله يرحمه وانا عيل صغير)

عم جمال: الدور هيبدأ من عنده هو النهاردة.. (قالها وهو يشير نحو السائق رقم ١) وبعدين أنت.. وكل واحد من السواقين ييجي بعدكم يكون دوره.. تمام؟

سائق رقم ١: تمام كدا يا سيد الناس.

سائق ٢: تمام.

نظر السائق رقم ١ إلى بوابة الوصول وقال بصوت عالٍ:

أهه أول زبون أهه ربنا بيحبني وهيعوضني عن ليلة امبارح..

وأشار بيده نحو البوابة.

(خرج منها رجل في أوائل العقد الرابع من عمره طويل القامة متوسط المنكبين أبيض الوجهة حليق الذقن يرتدي بالطو إنجليزي وفوق رأسه نظارة شمس ارتداها فور خروجه.. ويطوي أسفل إبطه الأيمن حقيبة صغيرة وفي يده اليسرى تتشبث يد حقيبة أغراض كبيرة تسير على عجلات)

هرول نحوه السائق وأردف بالإنجليزية: Wellcome

رد المسافر: THANK YOU

السائق:?Where are you go

فتح الرجل باب السيارة دون أن يجيب.

حينها أخذ السائق الحقيبة الكبيرة ووضعها فوق شبكة السيارة وأحكمها بالرباط وانطلق بالسيارة.. ثم نظر إلى الراكب الجالس بجواره وأردف: مقولتليش برضو يا خواجة

Whare are you go ?

الراكب: مصر الجديده ياسطى.

هنا ارتسم على وجه السائق ملامح الدهشة الممزوجة باليأس.. ثم قال.. مصري؟!

الراكب: أهه مصري.

الراكب: هو اليوم أصلا باين من أوله.

الراكب: في إيه! أنت زعلان أني طلعت مصري ولا إيه؟

السائق: لأ أبدا بس كنت فاكر أني هدفي جيبي بالأخضر

الراكب: بس كدا يا سيدي.. حاضر هحسبك بالدولار.

هنا انتاب السائق الشعور بالسعادة المفرطة.. فظل يلوح بعجلة القيادة يمينا ويسارا فتخطى إشارة المرور.. ولكنه عندما أيقن توقف.. هرول نحوه أمين شرطة عريض المنكبين غليظ الملامح.

أمين الشرطة: إيه اللي أنت بتعمله دا بروح أمك!

السائق: لا مؤاخذة ياباشا والله مخدتش باللي.

أمين الشرطة: مخدتش إيه!... بالك؟.. دنا شايفك من أول الشارع ولا كأنك ماشي في زفة أمك.

السائق: يا باشا أمي ملهاش دعوة بالكلام عيب تغلط في الميتين.. اللي أنت عاوزة أعمله وخلاص بقى من غير غلط.

أمين الشرطة: أنت كمان مش عاجب معاليك طريقة كلامي؟... طيب هات الرخص يا حيلتها.

السائق: وليه الرخص بس ماحنا ممكن نحلها بالحب.. ثم نظر السائق للراكب وأردف: ولا إيه ياباشا متقول حاجة.

نظر الراكب إلى الأمين وسهد قليلا دون أن يغرب وجهه عن الأمين.. ثم فتح باب السيارة وتوجه نحو الأمين وصاح في وجهه قائلا: أنتم إيه لسا زي مانتم كلاب.. وولاد ستين كلب.. حرام عليكو بقى الافترا اللي أنتم فيه ده.. حرام.. هتروحو من ربنا فين.. عاوز إيه بقا.. بتغلط في أمه ليه؟..

ثم أمسك الأمين من سترته الميرى وكأنه رأى أمامه شخصا آخر له معه ثأر وقال وحمرة الغضب تملؤ وجهه.. بتلغط في أبويا ليه!.. بتغلط في أمي ليه؟!.. بتضربني ليه؟!.. أنت عارف أنا أبقى ابن مين؟.. ابن الباشوات يحصل فيه كده؟!

أصيب الأمين بالدهشة مما يحدث فالأمر غريب.. ظل الأمين يفكر هل هذا الرجل ذو وضع اجتماعي.. أم أنه من المعدمين ويفعل ذلك لقلب الأمر رأسا على عقب.. أم أنه مختل.. نعم إنه مختل.. ثم نظر إلى هيئته فأيقن أنه من الممكن أن يكون ذا شأن.

أما عن السائق فلم يخرج من السيارة على أثر الدهشة وجاءته فكرة الهروب بالسيارة فأدار المحرك ورجع للخلف ببطء.. ثم سمع صوت التصاق يد الأمين بسقف السيارة بقوة وهو ينظر للمارة الذين توقفوا لمشاهدة ما يحدث فقال لهم: في إيه؟! كل واحد يروح يشوف شغله مش عاوز أشوف مخلوق هنا.

ثم اقترب من الراكب: ممكن البطاقة بعد إذنك؟

الراكب: ليه يعني هو أنا اللي سايق؟ ما فيش بطايق وأعلى ما في خيلك اركبه.

الأمين: تمام.

أمسك الأمين الجهاز اللاسلكي ومر خطوتين بعيدا ليتحدث.. وفي طرفة عين جاءت سيارة ميكروباص بها ثلاثة أمناء.. تقدم أحد الأمناء نحو الراكب وقال له: بطاقتك.. ثم نظر إلى السائق وقال له: رخصتك.

السائق: يا باشا والله أنا مليش دعوة بيه.. أنا حاياله سواق.. موصلاتي مش أكتر ولو عالغرامة أدفعها لكن الوش اللي عمله الراجل ده مليش فيه.

الأمين: اخرس ياض.. ثم نظر إلى الراكب وقال: بعد إذنك بطاقتك بكل أدب واحترام.. ولا ممعاكش بطاقة؟

الراكب: معييش بطاقة معايا باسبور

الأمين: ما فيش مشكلة أشوفه.

أخرج الراكب من الحقيبة الصغيرة جواز السفر الخاص به.. تفحص الأمين الجواز

الأمين: ماشي حضرتك هتتفضل معانا عالقسم

الراكب: ليه يعني؟

الأمين: حضرتك شكلك رجل متعلم.. إحنا من حقنا إننا اللي نشتبه فيه ناخده على القسم نكشف عليه

الراكب: تكشف عليه!

الأمين: آه نكشف عليه جنائي.. سياسي.. وهلم جرا (قال كلمته الأخيرة وفي عينيه نظرة توعد)

الراكب: ليه شايفهني مشبوه؟

الأمين: والله حضرتك لو ما فيش حاجة خايف منها هتيجي معانا ببساطة. قال جملته ثم أشار إلى الأمين الأول وقال له: خد دول واسبق أنت. قالها وهو يعطيه جواز السفر وبطاقة السائق.. وهنا استقل الأمين دراجته البخارية وانطلق.

الراكب: أنت ازاي تديله الباسبور بتاعي كده؟!

الأمين: اركب التاكسي ياباشا وانت ياسطى يلا اطلع بينا على قسم مصر الجديدة.

عندما وصلت السيارة إلى القسم نزل الراكب وسائق التاكسي والأمين وعندما نظر الراكب إلى القسم اختل توازنه وسقط أرضا

وغاب عن الوعي.

بعد نحو نصف ساعة وجد نفسه جالسا على مقعد خشبي وفي يده أساور حديد تقيده بعسكري واقف بجانبه هزيل بعض الشيء.. نظر الراكب إلى العسكري وعينه تستعيد بصرها ويحاول أن يدرك المكان

الراكب: أنا فين؟

نظر له العسكري دون أن يتفوه بكلمة.. طرق العسكري على الباب الذي بجانبه.. فأذن له من في الداخل بالدخول.. سحب العسكري الرجل وبعد أن قدم التحية أشار له الضابط الجالس خلف مكتبه بعينه نحو يده.. حينها قام العسكري بإخراج مفتاح من جيبه ليفتح الأساور الحديدية.. ثم أدى التحية مرة أخرى وانصرف.

هم الضابط من جلسته وهو يشعل سيجارة.. ثم قام بإمساك هوية الرجل وأردف ببطء: حكم سراج الحداد.. السن ٤٢ سنة.. ومعاك الجنسية الأمريكية.. هو دا بقى اللي مخليك عامل الشبورة دي كلها يا حكم بيه؟!

حكم: ممكن أعرف أنا هنا ليه؟!

الضابط: علشان أسلوبك وحش

حكم: والله!.. (قالها بسخرية).. هو اللي أسلوبه وحش اليومين دول بقى مجرم.. وبتتحط الكلابشات في إيده؟

الضابط: آه.. بالظبط كده

(هنا طرق أحدهم الباب مرة أخرى ودخل ضابط برتبة ملازم أول ومعه ورقة مطوية قدمها للضابط وهمس في أذنه وانصرف)

قرأ الضابط الورقة فارتسمت على وجهه الدهشة.. ثم أردف بصوت خافت: إتفضل استريح يا أستاذ حكم أنت واقف ليه؟

هو حضرتك تقرب لعاصم باشا الحداد؟!

جلس حكم وكأنه سمع ما لا يرضيه.. عاصم باشا الحداد!.. هو عاصم بقى باشا.. (قالها وهو يضحك بسخرية).. أنا ابن سراج الحداد.. لو تسمع عنه يعني الله يرحمه.. وعمي كان معالي السفير شكري الحداد.. الله يرحمهم.

الضابط: أيوا يا فندم مهو عاصم باشا ابن شكري باشا الله يرحمه.. أنت مسافر من زمان ولا إيه؟!

حكم: آه بالضبط كده.

الضابط: يا باشا نورت مصر.. وانا بتأسفلك على أي حاجة.. ولو عاوزني أجيب الأمناء أضربهم بالجزمة قدامك أنا مش هتأخر.

حكم: عادي.. عادي.. محصلش حاجة.. قولتلي بقى عاصم باشا بقى باشا في إيه بالضبط؟

الضابط: يا فندم عاصم باشا ضابط كبير دلوقتي في جهاز سيادي.. ربنا يوعدنا.. إحنا لينا الشرف أننا نتكلم عنه.. ثم ضغط على زر أعلى سطح مكتبه..ليدخل العسكري

الضابط: تشرب إيه يا حكم بيه؟

حكم: لا شكرا.. أنا عاوز أمشي، من امبارح ما نمتش

الضابط: طيب حضرتك رايح فين.. نوصلك

حكم: لا شكرا.. أنا هاخد تاكسي.. آه صحيح هو السواق اللي كان معايا فين؟

الضابط: هو بصراحة تحت في الحجز.. كنا مستنيين نكشف عليه ونعمل تحريات.. بس خلاص يا باشا يخرج النهاردة ما فيش داعي

حكم: طيب.. ثم أخرج من حقيبته مائة دولار وأعطاها للعسكري.. لما يخرج إديلو دول.. ثم نظر إلى الضابط.. أستأذن أنا بقى.

الضابط نظر للعسكري: أنت يابني ناديلي السواق بسرعة..

حكم: ما فيش داعي.. أنا نازل في فندق قريب هنا.

الضابط: والله ما يحصل معاليك.. أبدا لازم نوصلك..

دخل السائق

الضابط: أنت يابني خد حكم باشا وصله بسرعة.

****

وصل حكم إلى فندق البارون وصعد إلى غرفته المحجوزة له ثم خلع ملابسه ليستحم وقف تحت صنبور الماء واضعا راحتيه على الحائط.. الماء يسقط على مؤخرة رأسه ويسير بين خصلات شعره.. شعر وكأنه يولد من جديد.. خرج من الحمام وهو يرتدي معطفا حريريا.. طرق أحدهم الباب كانت إحدى العاملات بالفندق قدمت له منضدة صغيرة تحمل فنجان القهوة..خرجت العاملة من الغرفة.. أمسك بفنجان القهوة وتوجه نحو الشرفة أزاح الستار ثم نظر إلى المبنى الكائن أمامه... إنه قصر البارون.

****

القاهرة – حي مصر الجديدة

٢٢- يناير -١٩٩٧

كانت ليلة شديدة البرودة الطقس صقيع للغاية وبالسماء حمرة وسحب كثيفة يداعبها القمر.. وفي الشارع الخلفي لقصر البارون كانت هناك سيارة جيب شروكي سوداء تسير ببطء يبحث من فيها عن بقعة هادئة بعيدة عن أعين المارة بالرغم من أن الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل إلا أنه حريص على الاختباء في ظلام الليل.. انتظرت السيارة في منتصف الشارع وأخفت قائدها أضواء مصابيحها.. كان قائد السيارة شابا خمري اللون كثيف اللحية وشعر رأسه على هيئة ذيل حصان نحيف الوجه يوجد على ذراعه اليمنى وشم لهرم بداخل دائرة وبجواره فتاة سمراء اللون ترتدي فوق رأسها قطعة من القماش تسمى (بندانه) وفي أنفها قطعة من النحاس تشبه تقاليد الغجر الأوربيين.. أما عن المقعد الخلفي فهناك فتاة أخرى على نفس تلك الهيئة ولكنها تختلف عنها في أنها ذات بشرة بيضاء وبجوارها شابان أحدهما قصير القامة نحيف بعض الشيء يرتدي نظارة طبية وعيناه تشبه أعين الثعلب.. أما عن الشاب الجالس خلف مقعد قائد السيارة فهو حكم الحداد كان حينذاك في نهاية العقد الثاني من عمره وكان نحيفا حليق الذقن وشعره قصير للغاية ولكن عينه الزرقاء كانت مليئة بلمعة.. وشباب هذه الأيام يتوهج وجهه عندما تراه فتعلم أنه ابن ذوات.. كان مرتديا قميصا أبيض وسترة جلد سوداء وبنطال جينز كاوي بوي وكل من معه يرتدي السترة

الجلد السوداء والبنطال الجينز الأسود.

أشعل الشاب قائد السيارة سيجارة حشيش أخذ منها نفسا عميقا ثم مررها على الفتاة الجالسة بجواره.. أخذت هي الآخرى نفسا عميقا ثم أراحت رأسها على مسند الكرسي الجالسة به ونظرت إلى سقف السيارة.. هجمت عليها الفتاة الجالسة بالمقعد الخلفي وأخذت منها السيجارة. نظر قائد السيارة للفتاة الجالسة بجواره وأردف قائلا: إيه يا هانم فين الحاجة اللي أنتي جايباها معاكي من أمريكا! ولا هو كلام وبس؟

الفتاة ١: أنا مش بتاعت كلام.. بس كل الحكاية أنا خايفة عليكو أصلكو مش قدها.

قائد السيارة: مش إيه؟!.. طب ورينا كده واحنا نثبتلك أننا أد أي حاجة.

هنا فتح حكم باب السيارة.

قائد السيارة: إيه يابني في إيه؟

حكم: الدخان.. مش قادر وبعدين أنا عاوز أمشي أنا اتأخرت أوي

الفتاة ٢: يا كوكو.. يا عم لسا بدري

فتح حكم باب السيارة وخرج منها

قائد السيارة: طيب اصبر يا عم.. هوصلك.

الشاب القصير: إيه يا عم إحنا هنروح ولا إيه؟!..

قائد السيارة: خلاص نروحه ونرجع احنا.

الشاب القصير: لأ يا عم.. حكم لازم ييجي معانا.

قائد السيارة للفتاة الجالسة بجواره: وانتي كمان فين الحاجة.. ولا هو يوم بايظ.. ولا إيه؟

أخرجت الفتاة من حقيبتها ظرف ورق صغيرا بداخله ورقة في حجم اليد.

نظر الشاب للورقة والظرف وأردف: وإيه بقى دا إن شاء الله.. إيه هنقرا الورقة نتسطل يعني ولا إيه؟

الفتاة ١: لا يا خفيف.. أنا بس عاوزه أشوفك بعد ما تجرب هتعمل إيه.. قالت جملتها ثم نزعت طابعا من الورقة صغيرا في حجم عقلة الأصبع يشبه لاصق الجروح الطبي وألصقته على جبهة الشاب ثم أردفت: اصبر بقى عشر دقايق وانت هتشوف دي هتعمل إيه.. وحياة أمك هتنسى اسمك..

ثم نظرت إلى الشاب والفتاة بالخلف وقالت: ها يا حلوين حد عاوز يجرب؟

الفتاة ٢: أخذت اللاصق بسرعة ووضعته على جبهتها.. أما عن الشاب فقال لها: لأ ياستي أنا رجل مائي والنهاردة بالذات مش عاوز أبوظ اليوم بحاجاتك الغريبة دي.. المهم عاوزين نشوف الأخ اللي واقف برا ده اللي هيبوظ اليوم.

فتاة ١: لأ سبهولي دا أنا هعدل مزاجه ثم فتحت باب السيارة ونزلت.. اقتربت من حكم ثم خلعت سترتها الجلد السوداء.. كانت مرتدية السترة فوق حامل صدرها فقط.. اقتربت منه أكثر وأكثر ازداد حينها توتر حكم.. اقتربت منه ولمست بشفتيها فمه وقالت ببطء وصوت خافت.. ما لك يا عم حكم أنت بس؟!

ثم طبعت قبلة على شفتيه ببطء وهي تشبك أناملها في أصابعه فتفاعلت القبلة مع وهج الحشيش وثقل رأسه أكثر وأكثر وكاد يختل توازنه.. ثم ابتعدت عنه قليلا وشهقت وهي تقول: إيه دا يا حكم إيه الجرح اللي في راسك ده؟.. أنت اتخبطت ولا إيه؟!

تحسس الآخر رأسه مسرعا ونظر ليده لم ير أثر دماء.. ولكنها سرعان ما أخرجت لاصقا ووضعته على رأسه وأقنعته أنه لاصق طبي من الخارج قادر على لَأْم الجروح سريعا وتجميل أثرها.

وفجأة رأى حكم ثعبانا على رأس الفتاة فصرخ وحاول أن يمسك به وبالفعل أمسكه ولكنه تحول إلى عصفور صغير وطار من يده ثم رأى مركبا تسير بعرض الطريق وفجأة ظهر فيل كبير يهرول نحوه مسرعا.. يقترب منه بقوة كبيرة وعندما اقترب منه رفع رأسه عاليا وكاد يطرحه أرضا بضربة من خرطومه لولا أن حَكَمًا اختبأ داخل السيارة.. ثم أومأ برأسه على زجاج النافذة وهو واضع يديه بين فخديه كطفل مختبئ من عفاريت الليل.

نظر الشاب القصير إلى ساعة يده وجدها الثانية والنصف بعد منتصف الليل.. صاح بعلو صوته: إيه يا جدعان إحنا هنفضل كتير

هنا ولا إيه؟ مش يلا بقى أنا زهقت..

أفاقت الفتاتان والشاب الخمري من سُكرهما بعض الشيء أما حكم فما زال في رحاب اللاصق اللعين

هبطوا من السيارة يتسكعون كمن ضرب بمخيط من حديد على رأسه يسبقهم الشاب الخمري وخلفه الفتاتان يسند بعضهم بعضا وخلفهم القصير يسحب حكما يمشي بعضهم خلف بعض على خط مستقيم وكأنهم يمشون على صراط من أسفله ألسنة جهنم.. دخلوا ساحة القصر كانت تماثيل الفيلة ترقص أمام عين حكم وتخرج له ألسنتها كالبشر. اقتربوا من باب القصر.. طرق الشاب الخمري باب القصر وهو يقول: هفاف

يطرق مرتين ويقول كلمة هفاف فعلها ثلاث مرات حتى يعلم من بالداخل أنه منهم.. فتح باب القصر وكأنه باب جنهم أضواء حمراء صاخبة وموسيقى ميتال عالية للغاية أما عن الأدخنة فحدث ولا حرج دخل الشباب مسرعين وأغلق من خلفهم الباب حارسا البوابة كانا شابين مفتولي العضلات يرتدي كل منهما سترة سوداء منزوعة الأكتاف لتفصح عن وشم أخضر متشابك لا يسطيع أحد أن يستوعب محتواه وبه بعض الحروف اللاتينية الأول شعره مجعد للغاية وكثيف والثاني أصلع الرأس وفي مقدمة ساحة القصر فتاة ترتدي وشاح قطة.. الكل في هذا المكان على وتيرة واحدة.. الكل يرتدي اللون الأسود والفتيات طلين شفاههنّ باللون الأسود وتجد منهن حليقة الرأس وأخرى حليقة نصف الرأس والنصف الآخر من الشعر لونه صاخب ما بين الأحمر

والأصفر.. زجاجات الخمر قد تكون أضعاف الموجودين وسحب أدخنة الحشيش والماريجوانا تجعل الرؤية غير واضحة.

انخرط الشاب الأول والفتاتان مع الحضور وغاب القصير عن المشهد وظل حكم شاردا. حاولت خلايا عقله أن تستيقظ ولكن سحب الماريجوانا داعبت فصوص العقل فانتكس مرة أخرى.

المشهد مرعب للغاية هناك من يختلي بإحداهن.. وهناك من يتقيأ من كثرة تناول الكحول.. وهناك من يصنع الوشم على جسد إحداهن.. وهناك من يرقصون كالجاهلية على أنغام الميتال.. كانت الوجهة كلها غير مألوفة.. بالرغم من تشابه الجميع في الملبس والهيئة إلا أن ثمة اختلافا في الوجوه.. الكثير هنا تحت قبة القصر لا يعرف ماذا يحدث، منهم من جاء ليختلي بصديقته ومنهم من جاء ليختفي عن الأنظار وهو يتعاطى المخدرات ومنهم من سمع عن تلك الحفلات فأراد أن يستطلع تلك العالم المليء بالشغف والمغامرات.. ومنهم أيضا من مثل حكم جاء بمحض الصدفة!

وفجأة خفتت الأنوار وظهر مجموعة من الشباب والفتيات حاملين منيوارة *(شمعدان سباعي الشكل) وعلا صوت قداس الموت لـ فولفغانغ أماديوس موتسارت.. واقتربوا من حوض كبير كان يتوسط بهو القصر.. قلدهم جموع الشباب الموجودين وذهبوا في رحابهم دون أن يعلموا ماذا يحدث.. ذهبوا خلفهم ليروا ماذا يحدث وذهب أيضا خلفهم من يريد أن يعتقد الجميع أنه على علم بما يحدث وخلفهم أيضا من هو تحت تأثير المخدر.. اجتمع الشباب على شكل دائرة حول الحوض الكبير وعلا صوت

القداس أكثر.. كان هؤلاء الشباب الممسكون بالمنيوارة يرددون كلمات لاتينية لا يعلمها غيرهم وفجأة أمسك أحدهم بقطة وقطع عنقها بالسكين وظلوا يتناثرون جسدها فيما بينهم ويسكبون دماءها على أجسادهم ويلطخون وجههم. هنا أنكر الكثير من الحضور هذه الفعلة وابتعدوا قليلا.

أما حكم فقد كان جالسا في زاوية بعيدة يستعيد قواه.. اقترب منه أحدهم كان شابا عريض المنكبين طويل القامة أسود البشرة كثيف اللحية وشعره على هيئة خصلات كثيفة متشابكة كنسيج الغزل.. ذا رائحة كريهة وفي يده زجاجة كحول عتيقة احتساها حتى الثمالة.. كان أشبه بكفار قريش.. ألصق جسده بجسد حكم كان يتحدث بلغة لم يستطع حكم استيعابها.. ومن قوة رائحته الكريهة أفاق حكم من سكره.. حاول أن يبتعد عنه ولكن الآخر خلفه أينما ذهب.. كان حكم شاردا يبحث عن أعوانه فلم يجد منهم أحدا.. وما له من ولي ولا نصير.. فذهب هنا وهناك يجوب المكان بعينه دون جدوى.. صعد الطابق الثاني كانت هناك غرف كثيرة مليئة بالفتيات والشباب.. دخل غرفة لا يوجد أحد بها ووجد خلفه ذلك الشاب.. حاول أن يخرج من الغرفة لكن ذلك اللعين دفعه دخلها وأغلق باب الغرفة.. هنا أيقن حكم ماذا يريد ذلك البغيض.. صرخ حكم ولكن لا يسمعه أحد وسط تلك الصخب

****

في بهو القصر كان الشاب القصير بجوار إحدى النوافذ.. أشار بيده لأحدهم خارج القصر ثم ابتعد حتى لا يراه أحد من الحاضرين.. ثم اقترب من باب القصر واستغل سكر الشباب الحراس وفتح الباب قليلا وابتعد.

هنا دخلت قوة كبيرة من الضباط والعساكر وانتشروا بكل أرجاء القصر ودخلت سيارات الأمن المركزي مليئة بأعداد غفيرة من العساكر في مشهد مرعب كانت الكاميرات الصحفية توقظ الغائبين عن الوعي من قوة إضاءتها.. الكل يصرخ والبعض يبكي وهو يضرب وجهه بيده.. دموع الخوف أزاحت الطلاء الأسود من أعين الفتيات ورجفة المشهد أصابت بعضهم بالذهول العساكر والمخبرون يطرحونهم أرضا.. والشباب كأسرى حرب يدهم فوق رؤوسهم.. على وجههم الخزي يوم لا ينفع الندم.. يهمهم العساكر فيما بينهم بالاستغفار.. ويضرب أحدهم بظهر سلاحة أحدهم وهو يردد.. أعداء ربنا حسبي الله ونعم الوكيل فيكم هتخربوا البلد.

صعدت القوات الطابق الثاني لتلقي القبض على البقية.. دخلوا الغرفة الموجود بها حكم.. كان الشاب الضخم هذا ممسكا بحكم ويحاول أن يضع في كتفه حقنة لتغيبه عن الوعي حتى يستطيع أن يفعل به ما يحلو له.

رأى العساكر والمخبرون الاثنين أحدهما محتضن الآخر فظنوا في حكم السوء.. علا صوت الاستغفار وضربت الأكف. اقترب من حكم أحد الأمناء وصفعه على وجهه بقوة وأمسك مجموعة من العساكر الشاب العملاق وأخرجوهما من الغرفة كان هذا يحدث

وسط ذهول حكم.. زاغت عيناه ورأى الجميع أمامه بصورة غير واضحة.. ثم سقط أرضا وغاب عن الوعي.

****

فيلا ٥ – شارع دار الشفاء – حوض اللبن – جاردن سيتي

الساعة الثالثة فجرا

دقت أجراس المنزل وكاد ينكسر زجاج أبواب المنزل من قوة يد الأمناء.. فتح رجل كبير ذو بشرة سوداء الباب.. اتضح من ملبسه وهيئته أنه خادم بالبيت

الضابط: فين صحاب البيت دا يا راجل أنت؟

نعمان: أؤمر يا فندم في إيه!

الضابط: اطلع اجري صحي كل اللي في البيت دا بسرعة يلا

نعمان: يافندم الساعة كام دلوقتي.. أنت حضرتك عارف دا بيت مين؟!

الضابط: وانت بقى يا بتاع أنت اللي هتعرفني إيه اللي ينفع وإيه اللي مينفعش.. اجري بسرعة صحي أسيادك بدل ما ابيتك في الحجز الليله دي.

ظهر هنا رجل خمسيني متوسط القامة بدين بعض الشيء ذو وجه أبيض مشبع بحمرة وعينين صغيرتين تختفي خلف نظارة محكمة بسلسلة من الذهب الخالص تتدلى جانبي وجهه المستدير الذي يتزين بشارب أبيض كثيف مبرم من الجانبين.. كان الرجل يرتدي سترة حريرية يحكم رباطها فوق خصره وهو يهبط على درج السلم الداخلي للمنزل مخاطبا نعمان بغضب.

سراج الحداد: في إيه يا نعمان؟!.. مين دول..

وأشار بيده للضابط.

الضابط: إحنا من قسم قصر النيل وجايين نفتش البيت.

نعمان مخاطبا الضابط: إنتو مش عارفين أن دا بيت سراج باشا الحداد؟! وأشار للرجل الخمسيني.

سراج الحداد: أنت يابني أنت وهو مش عارفين دا بيت مين؟ ومش عارفين أن سيادة السفير شكري الحداد يبقى دا بيته؟ وبعدين تفتيش إيه اللي بتتكلم عليه!.. وليه؟

الضابط: حضرتك تبقى والد حكم الحداد؟

سراج الحداد: أيوا.. ما له حكم؟

الضابط: ابن حضرتك اتقبض عليه واحنا لازم نفتش أوضته

سراج الحداد: إيه!.. ابني حكم اتقبض عليه.. إمتى.. وفين.. وليه؟!

الضابط: دا يا فندم تعرفه في النيابة.. أما أنا فهنا لمهمة محددة.. أرجوك تسمحلي أنا والقوة نقوم باللازم.

سراج الحداد: أنت متأكد من اللي أنت بتقوله ده؟

الضابط: أكيد يا فندم مش هنقتحم بيوت الناس بالليل كده وخلاص.. وبعدين حضرتك بتقول أن دا بيت سفير يعني كل شيء مظبوط.. القسم عندي جاله إشارة من قسم مصر الجديدة..

ممكن تقولنا فين بقى أوضة حكم؟

سراج الحداد: طيب هو اتقبض عليه ليه؟.. عمل إيه يعني!

الضابط: معرفش تفاصيل.. سعادتك ممكن تروح القسم النهاردة.. أو بكرة في النيابة.

سراج الحداد: نيابة!.. طيب ممكن أشوف أمر التفتيش؟

أعطى الضابط أمر التفتيش له كي يطمئن قلبه..

الضابط: إتفضل.. ممكن حضرتك بقى تشاور لنا على أوضة حكم

أشار سراج بيده على الغرفة دون أن تغرب عيناه عن الورقة أو حتى تتحرك جفون عينه.. ثم نظر إلى نعمان وأردف: اطلع معاهم يا نعمان.

هنا ظهرت خديجة زوجة سراج وأم حكم امرأة في نهاية العقد الرابع من عمرها متوسطة القامة ترتدي حجابا لكنه لا يحجب الكثير من الشعر الأبيض.. وجهها نحيف وعينها لم يغادرها بريق الشباب ولكنها مصابة بشلل نصفي يجعلها لا تغادر الكرسي المتحرك.. تساءلت بانزعاج: في إيه يا سراج.. ومين دول؟

سراج: بيقولو ان حكم اتقبض عليه.

خديجة: إيه؟! حكم ابني؟!..

ثم اقتربت من الضابط بالكرسي فغرفة نومها بالطابق الأرضي نظرا لصعوبة تحركها.. ثم أردفت: هو في إيه يابني.. حكم ابني عمل إيه؟

الضابط: والله يافندم أنا فعلا ما عرفش.. أنا جاي أنفذ أوامر وبس.

سراج: يعني إيه جاي تنفذ أوامر وبس!.. عاوز أعرف.. يعني أنت جاي تدور على إيه؟.. إيه اللي جاي تفتش عليه بالظبط.. يعني لو لقيت إيه يبقى ابني متهم.. هكذا قال جملته بانفعال.

الضابط: كتب.

سراج: نعم!.. كتب!.. ابني طالب في كلية الهندسة في الجامعة الأمريكية أكيد أوضته مليانه كتب أنت تقصد كتب إيه بالظبط.. إوعى يكون حكم مقبوض عليه بتهمة أنه تبع جماعة إسلامية؟

الضابط: حاجة زي كده.

خديجة: يعني إيه حاجة زي كده.. ما تبل ريقنا يابني.

الضابط: ابنكم اتقبض عليه مع شوية عيال بيعبدو الشيطان.

أستغفر الله العظيم يا رب.. هكذا همهمت إحدى الخادمات الواقفات بعيدا

سراج: إيه!.. بيعبدو إيه!.. هو في إيه بالظبط؟ أنا مش فاهم حاجة.. هو أنا بحلم ولا إيه بالظبط.

الضابط: زي ما بقول لحضرتك كده.. إحنا جالنا إشارة بكده.. يعني هنفتش الأوضة فيها بقى كتب.. شرايط كاسيت.. ملصقات على الحيطة.. أي حاجة.

خديجة: هو في إيه يا سراج؟.. أنت هتفضل واقف كده؟ أنا عاوزه حكم ابني يكون هنا دلوقتي.

سراج: لأ.. أنا هتصل بمعالي المستشار ييجي يشوف حل في المهزلة دي.

هبط الأمناء والمخبرون وخلفهم الخادم نعمان

أردف أحدهم: تمام يا فندم لقينا شوية الشرايط كاسيت دول.. في يده شرائط كاست لمايكل جاكسون وبوب مارلي.

نظر سراج للضابط بسخرية وأردف: هو دا بقى الحرز يا سيادة الضابط؟!

الضابط: والله يافندم احنا بنفذ التعليمات وبس.. هكذا قالها ببرود فاتر وابتسامة صفراء.

هيلتون رمسيس

٢٢ يناير – ١٩٩٧

الخامسة صباحا

توقفت سيارة جيب شروكي حمراء أمام مدخل الفندق.. هبط منها رجل طويل القامة خمري البشرة مقوص الظهر بعض الشيء في وجهه أثر جرح من الأذن اليمنى حتى الفك.. له حاجبان عريضان عين ناعسة وكأنها انتزعت من وجهه وحشا كاسرا قبل الانقضاض على فريسته.. أخرج سيجارة ودسها بين شفتيه وأشعلها ثم أخذ نفسا عميقا وطرحها أرضا ودهسها بقدمه حتى نزفت التبغ الذي في جوفها.. اقترب من موظف الاستقبال وقال له: عندي ميعاد في الغرفة ٣٠١.

تفحص الموظف جهاز الكمبيوتر الذي أمامه.. ثم أردف: حضرتك سيادة العقيد أنور العجاتي؟

أغمض الآخر عينيه الناعستين وأومأ برأسه دليلا على الموافقة دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

الموظف: اتفضل يافندم الأسانسير من هنا.. وأشار جهة المصعد.

خرج العجاتي من المصعد في الطابق الذي به الغرفة.. كان الممر مليئا بالحراس المسلحين وكأنك تمر أمام إحدى القنصليات.. أشهر العجاتي الهوية الخاصة به لأحدهم فقدم له

الحارس التحية وسبقه بخطوتين ليفتح له باب الغرفة.

دخل العجاتي الغرفة كان بها رجل في منتصف العقد الخامس من عمره يرتدي شورتا رياضيا دون شيء آخر قصير القامة متوسط الوزن ذو شعر رمادي قصير للغاية في عنقه سلسلة من الذهب وفوق عاتقه وشاح أبيض يستخدم منشفة بالرغم من برودة الطقس.. في يده كأس من الشمبانيا الفرنسي الفاخرة وأمامه مائدة فاخرة.

أشار الرجل للعجاتي بالجلوس ثم قال له: ها يا بطل إيه الأخبار؟

العجاتي: تمام يا معالي دولة الباشا.. كل شيء زي ما أمرت وأحسن كمان حبتين تلاتة.

الرجل: غلط.. أنا عاوز كل شيء زي ما قولت مش أحسن ولا أوحش.

العجاتي: يبقى يا باشا زي ما معاليك أمرت.

الرجل: تمام.

العجاتي: إيه بقى الخطوة اللي بعد كده؟

الرجل: لأ.. الخطوة الجاية مش بتعتك أنت.. أنت خلاص دورك انتهى.

العجاتي: يعني إيه يا باشا.. أنا كده مليش لازمة؟!

الرجل: كمان ساعات وهتتنقل الإدارة الجديدة يا عجاتي.. قصدي يا سيادة العميد أنور العجاتي.

العجاتي: العميد!.. قصد حضرتك اني بقت عميد؟!

هكذا قال جملته الأخيرة بسعادة بالغة.

الرجل: مش بس كده.. أنت هتتنقل الإدارة اللي كنت بتحلم بيها.. النهاردة آخر يوم ليك في المباحث وهتتنقل قطاع أمن الدولة.

العجاتي: يا فندم ده فضل كبير جدا منك أنا مش عارف أقول لدولة معاليك إيه.

الرجل: يا عجاتي أنت خدمت مصر خدمة كبيرة أوي ومصر مبتنساش رجالتها.

العجاتي: يا فندم احنا فدا مصر في أي وقت.

الرجل: خلاص تقدر تتفضل أنت دلوقتي.. الساعة بقت خمسة ونص علشان تقدر تروح مكتبك تنقل حجاتك وتسلم على زمايلك.. وانا كمان عندي اجتماع مهم جدا في رئاسة الجمهورية يا دوبك أريح شوية قبل ما اروحوه.

العجاتي: تمام معاليك.

اقترب العجاتي من باب الخروج.

صاح الرجل مناديا: عجاتي.

عجاتي: تمام يا فندم

قالها وهو يقترب من الرجل

الرجل: أنت دلوقتي بقت في أكبر جهاز أمني في البلد.. يعني السرية والكتمان أمر مفروغ منه.. أنت عمرك ما شوفتني ولا تعرفني.. أنا من الناس اللي وشها مش معروف في الصحافة والإعلام يعني لو شوفتني في حفلة في فرح في أي مناسبة مش بس متجيش تسلم عليه.. ده أنت تخز عينك قبل ما تفكر تبص ناحيتي.. فاهم يا عجاتي تخزء عينك.

العجاتي: رغم أنه شرف ليه أكون موجود في مكان حضرتك فيه.. بس لو عرفت أن حضرتك في مكان مش هاهوب ناحيته أبدا.

الرجل: يكون أحسن برضو.. ثم أشار بيده نحو الباب إشارة منه للسماح للعجاتي بالخروج.

****

قسم مصر الجديدة

٢٢- يناير -١٩٩٧

التاسعة صباحا

أغلق شارع القسم بالكامل وشكلت قوات الأمن المركزي دروعا بشرية.. عشرات الصحفيين والمصورين يريدون التسلل منهم من يئس واستسلم فقط لالتقاط صور للقسم وأخرى عشوائية من بعيد ومنهم من يحاول الاقتراب من المشهد أكثر وأكثر.. وهناك سيارات فارهة تأتي بين كل حين وآخر يهرول نحوها الحشد الصحفي ليختلس صورة لأحدهم.. هناك أيضا كبار رجال القانون بصحبة أصحاب تلك السيارات.. تكرر المشهد عدة مرات.. وفجأة ظهرت سيارة تابعة لهيئة دبلوماسية كانت تمر بموكب فتحت لها أذرع الأمن المركزي.

في الطابق الثاني من القسم كان أحدهم منتظرا أمام مكتب مأمور القسم

العسكري: يا فندم أنا عارف أن حضرتك محامي بس الباشا جوا معاه تليفون مش هينفع تدخل دلوقتي.

داخل غرفة المأمور كان يتحدث بهاتف مكتبه.

مأمور القسم: يا فندم أنا مش عارف أتصرف ازاي.. الدنيا مقلوبة هنا.. طيب وبتوع السفارة الأمريكية دول أعمل معاهم إيه؟

سكت بُرهةً ليسمع المتحدث

المأمور: خلاص يا فندم أنا هخليهم يخدو العيال بتوعهم.. بس لازم عربية الترحيلات تاخد العيال اللي تحت دول النهاردة ويتحقق معاهم في النيابة بعيد عني.. أنا تليفون المكتب من الصبح الوزير الفلاني والمحامي العلاني.. وعضو مجلس الشعب عن الدايرة وهلم جرّا.

سكت مرة أخرى

مأمور القسم: تمام معاليك.. ربنا يعدي اليوم ده على خير.

ضغط مأمور القسم على زر فوق سطح مكتبه.. دخل العسكري ثم قدم التحية

العسكري: تمام يا فندم

مأمور القسم: ناديلي يابني الأمين صلاح الخفاش

العسكري: تمام يا فندم.

هرول العسكري بالطابق السفلي (البدروم) لغرفة الحجز وجد عسكريا آخر فسأله عن الأمين صلاح.. أشار له الآخر جهة الأمين. كان أسود الوجه عريض المنكبين طويل القامة ذا شارب عريض احتل ظهور فمه.. راحة يده كبيرة للغاية يستطيع أن يخفي بداخلها خزينة مدفع رشاش إذا ضم يده عليها.

هرول نحوه العسكري وهو يرتجف رجفة لم يرتجفها أمام مأمور القسم ذاته.. ثم أردف مناديا: يا صلاح باشا.. يا صلاح باشا.

نظر له صلاح وأردف: عاوز إيه يابني؟.. قالها بصوت محشرج

العكسري: الباشا الكبير عاوزك.

صلاح: خلاص روح أنت وانا جاي وراك.

صعد صلاح إلى مكتب مأمور القسم

صلاح: أؤمر يا معالي الباشا

مأمور القسم: صلاح أنت عارف أنك من رجالتي اللي بعتمد عليهم هنا.. واليومين دول قلق ربنا يعديهم على خير.. بص أنت هتنزل دلوقتي الحجز خد الورقة دي فيها أسامي العيال بتوع أمبارح.. التلت أسامي اللي متعلم عليهم دول أمريكان تخرجهم من الحجز من غير أي إجراءات.. فاهم يا صلاح!.. أساميهم متتكتبش لا في محضر ولا غيره.. زي ما دخلو يخرجو وتسلمهم لبتوع السفارة هما قعدين جوا في الاستراحة بتاعتي وانا دخلّهم دلوقتي ألطّف الجو.. مش عاوزين قرف الأمريكان.. علشان دول نابهم أزرق وقطتهم جمل.. مش بعيد بعد ما يغورو دلوقتي نلاقيهم مسلطين علينا بتوع حقوق الإنسان.

صلاح: تمام معاليك.. ولا تشغل بالك ولو عاوزهم كمان ينسو الكام ساعة اللي قضوها في التخشيبة ننسيهم.

مأمور القسم: صلاح مش عاوز غباء تخرج العيال دول وبس ولا تنسيهم ولا تعمل معاهم حاجة غير أنك تنادي أساميهم وتخرجهم وبس.. فاهم؟

صلاح: فاهم يا باشا.

مأمور القسم: عاوزك كمان تفضي أوضة الحجز الكبيرة اللي فيها العيال بتوع الجماعة وتحطلي فيها العيال بتوع قصر البارون.. العيال دي ولاد ناس يا صلاح مش عاوز غشامة معاهم.. إحنا لسا محققناش معاهم ما نعرفش لحد دلوقتي ده ابن مين؟ ودي مرات مين؟ مش عاوزين نقعد في بيوتنا وحياة أبوك.

صلاح: يا باشا تمام.. تؤمر بحاجة تاني؟

مأمور القسم: لأ.. روح أنت وانا داخل للبهاوات بتوع أمريكا.

****

غرفة الحجز

اقترب حكم من الشاب قائد السيارة

حكم: أنت اللي عملت فيّ كده.. منك لله أنت السبب

قائد السيارة: وانا أعرف يعني إن هيتقبض علينا.. منا زيك أهه

حكم: أنا عمري ما روحت الأماكن دي.. أنا عمري ما شربت ولا سهرت أصلا برا البيت.. يا ترى أمي عاملة إيه دلوقتي وبابا عرف ولا لأ..

ثم اقترب من باب الحجز وظل يطرقه بكلتا يديه وهو يصرخ: أنا عاوز أخرج.. عاوز أتكلم في التليفون.. وفجأة رأى الشاب العملاق الذي كان يتحرش به في القصر يقترب منه بغضب ثم هجم عليه وصفعه على وجهه وأردف: Are you mad you fool (هل جننت أيها الأحمق؟)

أردف حكم وهو بين أيادي بعض من تدخلوا ليفضوا الاشتباك: Shut up you bitch (اصمت أيها العاهر)

هنا دخل صلاح الخفاش غرفة الحجز.. كان لدخوله هيبة في نفس الجميع رغم أنهم جميعا لم يلتقوا به من قبل ولكن هيئته تكفي.. عم الصمت أرجاء المكان.. الشر الذي يملا عينه يرهب من تسول له نفسه أن يتفوه بكلمة

صلاح الخفاش: اللي هنادي على أساميهم دول يحضرو هنا فاهمين؟.. أنطونيو فلا.. فلا.. فلا.. ثم نظر إلى أحد الشباب الواقفين بجواره ونظر له ببلاهة ثم قال: اقرا دي كده اسمه إيه ده؟!

أردف الشاب بصوت خافت من الخوف: فلادمير.

صلاح الخفاش: اسمه كله على بعضه إيه بقا؟

الشاب: أنطونيو فلادمير.

نظر صلاح للجميع وقال: اللي سمع اسمه ده ييجي هنا.

خرج المدعو من بين الجمع فأشار له صلاح بالخروج من الباب.. ثم نظر للشاب وقال له: واللي مكتوب تحت ده اسمه إيه؟ ثم جعله يتفحص الورقة وهي في يده.

أردف الشاب: باولو أركسون

فخرج المدعو الثاني أيضا

صلاح: والتالت ده اسم أمه إيه؟

الشاب بصوت عالي تلك المرة: نعوم مزراح.

صلاح للشاب: هو مش نعوم ده إسرائيلي!

الشاب: تقريبا.

صلاح: وهو الواد ده إسرائيلي؟

الشاب: معرفش.

صلاح: متعرفش ازاي هو مش كان معاكو؟

الشاب: أنا معرفش معظم الموجودين.

صلاح: دانتو وقعتكو سودة.. وهو فين ابن الكلاب ده؟

خرج العملاق الذي كان يتعارك مع حكم وأردف بالعربية: أنا نعوم.

أشار له صلاح بالخروج وأردف: اطلع برة جنب اخواتك.. أنت إسرائيلي يلا ولا أمريكاني ولا جنسية أمك إيه؟

لم يرد العملاق.

صلاح: اطلع.. اطلع وأشار بيده جهة الباب.

حكم: هو ده رايح فين؟!.. قالها وهو يشير جهة العملاق.

صلاح: وانت مال أمك ياض.

حكم: ما تغلطش أنت عارف أنا مين وابن مين.. ما بقاش غير واحد جاهل زيك يتكلم معايا كدا ويغلط كمان.

صلاح اقترب منه وأمسكه من بنطاله من الأمام وجذبه نحوه بقوة بيد واحدة..

حكم: جحش!..

صلاح: أنا جحش ياض يا مركوب أنت.. أنت عجلة ياض.. أنت خواجة.. طيب يا روح أمك أنا هوريك الجحش ده هيعمل في أمك إيه..

قال جملته الأخيرة ثم صاح بعلو صوته: إبراهيييم.

دخل أمين شرطة آخر إلى الغرفة.

صلاح: خد التلاتة اللي برا دول وطلعهم للباشا فوق في الاستراحة..

ثم أشار للبقية وأردف: وكل الرمم دول دخلهم على العيال بتوع الجماعة في الحجز الكبير هما مش بيحاربو الكفر والشرك.. عرفهم بقا أن دول كفرة ولاد كلب..

ثم نظر إلى حكم وهو يجعل يده اليمنى تذوب في اليسرى كأنه يتوضأ وقال: وهات لي الكرباج السوداني.. هنا لم يشعر حكم بشيء سوى أنه سمع صوت نعال من معه وهم عنه مدبرون.

****

فيلا ٥ – شارع دار الشفاء – حوض اللبن – جاردن سيتي

نعمان: اتفضل استريح يا معالي المستشار.. البيه نازل حالا.. تشرب إيه؟

فريد السبع: القهوة بتاعتي يا نعمان.

نعمان: حالا.

دخل سراج غرفة المكتب

سراج: أنت فين يا فريد؟! بكلمك تليفون البيت مش بيجمع والمكتب قالو أنك مش موجود؟

فريد: أنا لسا راجع من اسكندرية وأول ما سمعت رسالتك على الأنسر ماشين جيت على طول.. هو اللي حصل ده.. حصل ازاي؟

سراج: مش عارف يا فريد إحنا لازم نروح القسم دلوقتي نطلع حكم.. أنا مرضتش أعمل حاجة قولت أستناك أحسن.. الواد بايت من امبارح في القسم.. أمه بتموت جوا.. الدكتور عندها.

فريد: إهدا بس يا سراج.. أكيد في غلط في الموضوع.. إحنا هنعمل تليفوناتنا واحنا هنا وحكم هيرجع بيته النهاردة يبات فيه.. هو شكري فين؟

سراج: شكري مسافر من أول امبارح عنده مؤتمر في النمسا ومش عارف أوصله.

فريد: طيب اهدا.. أنت قولتلي هو في قسم إيه؟

وجد نعمان الخادمة الصغيرة واقفة أمام إحدى الغرف بالدور العلوي ممكسة بيدها طاولة طعام.

نعمان: أنتي يا دزمة انتي بتعملي إيه عندك؟..

ثم نظر إلى طاولة الطعام وقال: هي لسا بتعيط؟

الخادمة: أيوا.. ومش عاوزة تاكل خالص.

نعمان: خلاص روحي انتي.

داخل الغرفة كانت جالسة على الفراش تضم ركبتيها عند صدرها وتحكمهما بكلتا ذراعيها ملصقة جبهتها بركبتيها كطفل تركته أمه في لباس الليل.. صوت بكائها المكتوم.. أوقف ستائر النوافذ عن مداعبة الرياح لها.. همت برأسها لتفصح عن عينين عسليتين ووجه أبيض ملامحه طفولية تغزوه أنوثة هادئة.. خصلات الشعر الأسود تتمايل.. هذا الوجه لا محل له من الحزن.. هذا الوجه خلق ليتأمله البشر ليعلموا مدى عظمة ريشه الرب ولكن العينين العسليتين تغمرهما الدموع.. إنها فيروز شكري الحداد ابنة الثانوية بالميردي ديو للراهبات الفرنسية.. لا شك أن فيروز تعشق حكم ولكنه لا يبادلها شعورها.. يراها دائما الأخت الصغيرة.. تربت فيروز هي وأخوها الأكبر منها سنا عاصم الطالب بكلية الحقوق في السنة الثالثة في كنف عمهما سراج وزوجته.. كانا الأب والأم وذلك نظرا لعمل شكري في السلك الدبلوماسي.. قبل أن يتولى مهام السفارة.. توفيت أمهما نورا الدميرى عندما كانت فيروز في التاسعة من عمرها فتزوج شكري من ألفت الفيشاوي

سليلة الفيشاوي كبار رجال المقاولات في مصر والشرق الأوسط ولكنها دائما في كنف زوجها.. تعرف عليها شكري في أثناء حضوره بفيينا أحد المؤتمرات الدبلوماسية.. كانت تقضي فترة نقاهة بعد وفاة زوجها الذي توفي بعد تسعة أشهر من زواجهما دون أن يرزقا بطفل.. عاد شكري بزوجته ومنذ تلك اللحظة كان هناك علاقة غير مستقرة بين الأب والأبناء.. رغم صغر سن فيروز حينذاك فإنها شعرت بالغربة مع أبيها وأخيها كانت تبكي طوال الليل حتى أطراف النهار.. لن يخرجها من تلك الوعكة إلا احتضان خديجة لها فأصبحت الأم الحنون.. ليس لها فقط بل لعاصم أيضا.. فأصبحت أما لثلاثة أبناء وكانت جديرة بذلك.

****

قسم مصر الجديدة

الرابعة عصرا

المأمور: شرف ليا والله يا معالي المستشار زيارتك لينا النهاردة..

ثم نظر إلى سراج وأردف: أنت عارف يا سراج باشا فريد بيه السبع كان أستاذي في كلية الشرطة كلنا تلاميذه ودا فخر لينا أنا دايما بقول لولادي كده لما معالي المستشار يطلع في لقاء في التليفزيون.

فريد السبع: حبيبي. إحنا بس جاينلك في موضوع صغير كده.. أنا ما حبتش حد من المكتب عندي يكلمك في التليفون ولا حتى يجيلك قولت أجيلك أنا بنفسي ومعايا سراج بيه.. أهه نشرب معاك فنجان قهوة.

المأمور: يا باشا أنت تؤمر أمر وانت قاعد في مكتبك.

فريد السبع: أنا شايف الدنيا مقلوبة النهاردة.. خير في إيه؟

المأمور: أبدا.. دول شوية عيال كده اتمسكو في قصر مهجور.. قصر البارون يعني بيشربو مخدرات.. ودعارة وقرف.. طيش شباب بقى ربنا يعفي البلد.

فريد السبع: اتحقق معاهم؟

المأمور: لسا والله معاليك.. شوية وعربية الترحيلات جاية تاخدهم عالنيابة.. قلق والله معاليك من الصبح.. مهو بشوات البلد مش فاضيين يربو عيالهم.. بس خير يا باشا أؤمر.

هنا نظر فريد السبع إلى سراج الذي لم يتفوه بكلمة واحدة ثم نظر للمأمور وأردف: حكم الحداد.. حكم سراج الحداد.. ابن سراج باشا.. الظاهر أنه اتاخد غلط مع العيال اللي في الحملة بتاعت امبارح.. طبعا حكم ابننا ما يعملش كده واحنا عارفين أن أمناء الشرطة والضباط كان الله في عونهم ممكن مع هرجلة الموقف يحصل معاهم لبس.. ودا طبعا لأن العدد كبير.. هو كان ماشي في الشارع والظاهر أن حد من رجالتك افتكره مع العيال دول وطبعا سراج باشا معروف في البلد كلها.. أظن يا سيادة المأمور مش هتلاقي ضامن لإخلاء سبيل ابننا أكتر من أبوه.

المأمور: هنا شعر بصقيع في جسده.

هو يعلم من هو فريد السبع أكبر محامٍ في البلد هو المستشار لمعظم رجال الدولة ورجل القانون الذي تخشاه كل محاكم البلد.. فريد السبع الذي تغيرت على يده نصوص قانونية كاملة في الدستور.. هو الذي جعل القانون المصري يطبق تصريح خروج المساجين في حالات وفاة الأقارب ذوي الدرجة الأولى عندما ترافع في قضية انتهت بإدانة رئيس مصلحة السجون..لا يعجز تلك الجهبذ عن إخلاء سبيل حكم هذا.. حتى لو تورط في أي جريمة أيا كانت وقبل ذلك لا يعجز في أن يجعل وزير العدل والداخلية يعطيان أمرا مباشرا بإخلاء السبيل.. أفاق من شروده مسرعا.. وأراد

أن يغتنم الفرصة ليقدم غرة الأسبوع وينتظر يوما ما بقته هدية.

المأمور: طبعا.. طبعا.. حالا..

ثم ضغط على زر مكتبه ثم خرج دون أن ينتظر دخول العسكري وأردف وهو واقف على باب مكتبه:

يابني اندهلي الأمين صلاح بسرعة.

****

غرفة الحجز

وقف صلاح عاري الجسد يرتدي بنطالا فقط..يسيل العرق من كل أنحاء جسده وأسفل قدميه ذبيحته مطروح أرضا.. رسم بكرباجه خيوطا من الدماء على ظهر سليل الأكابر.. جعله ينزف دماء من أنفه.. ووجهه ما بين الحمرة والزرقة.. عيناه منتفختان من أثر التعذيب وكأنه ضمن أسرى حملات المغول.

وقف العسكري خارج الغرفة وصاح: صلاح باشا كلم الباشا فوق عاوزك.

أشار له صلاح بيده بالانصراف.. ثم ارتدى ثيابه وصعد إلى غرفة المأمور.

****

غرفة المأمور

صلاح: تحت أمرك يا باشا.

المأمور: صلاح خد الورقة دي انزل تحت في الحجز هتلاقي أستاذ حكم الحداد هاته.

صلاح: تحت أمرك يا فندم.

المأمور لفريد السبع: تشربو إيه بقى؟

هبط صلاح غرفة الحجز الكبيرة كان بها هرج ومرج الكل يتعارك ذوو الجلباب الأبيض والشباب في عراك دموي.. هناك من يكبر وهناك من يرسم الصليب وينجي عيسي بن مريم.. دخل صلاح فتوقف الكل عن العراك.. ثم أردف: فين حكم الحداد؟.. دون يرد أحد

قالها مرة أخرى فخرج الشاب قائد السيارة فقال: حكم اللي كان هناك معاك في الأوضة اللي كنا فيها.. الحجز الصغير

صلاح: الواد اللي جوا هناك ده.. هو حكم؟! قالها بدهشة

قائد السيارة: آه.. هو.

صعد صلاح مهرولا لمكتب المأمور

صلاح:(واقفا على باب المكتب) باشا عاوز معاليك ثانية.

خرج المأمور من المكتب

سراج لفريد السبع: هو في إيه؟

فريد: مش عارف

سراج: أنا مش مطمن

فريد: منا قولتلك نكلمه واحنا في البيت كان هايجلنا ابننا لحد عندنا.. أنت اللي صممت تييجي

سراج: دا ابني يا فريد اللي محلتيش غيرة.. واديك شايف خديجة عاملة ازاي.. عاوزني أقعد جنبها

خارج مكتب المأمور

المامور: الله يخربيتك.. الله يخربيتكو.. مانا قولتلك مش عاوز غباء.. قولت أنا ولا مقولتش.. وعمال أقولك أنت اللي بعتمد عليه.. ملقتش غير ده يا حيوان.. نشلت يا فالح.. أعمل إيه دلوقتي.. أنت عارف مين اللي جوا دول.. أنت عارف مين فريد السبع اللي جوا ده.. أنت عارف أن عم الواد اللي أنت عذبته تحت ده يبقى سفير ومش أي سفير ده مرشح يبقى وزير الخارجية.. الله يخربيتك أعمل إيه.. أعمل إيه.. أضرب أمك رصاصة دلوقتي ولا أعمل إيه؟

صلاح: ما هو يا باشا اللي عيل قليل الأدب ومسحوب من لسانه.. العيال كلها ساكتة ومحدش فتح بوؤه هو اللي عامل فيها ابن بارم ديله.

المأمور: هو فعلا ابن بارم ديله.. ده مش أبوه بس اللي بارم ديله.. ده أبوه وصاحب أبوه وعمه وأصغر عيل عندهم كمان..

ثم أشعل سيجارة وجلس بجوار الباب وأردف: أعمل إيه يا ربي؟.. أنا عارف أن اليوم مش هيعدي على خير.. أدخل أقولهم إيه.. ابنكم تحت بيموت!..

ثم نظر بدهشة وكأنه تذكر شيئا ما وقال بصوت عال: الواد، فين الواد؟

هبط المأمور مسرعا وخلفه صلاح ودخل إلى الغرفة ورأى حكما على هيئته البشعة نزل على قدميه واقترب منه ووضع أذنه

على صدره فسمع لحن الشهيق والزفير ما زال القلب ينبض بهما.. أمسك بهاتفه واتصل بأحدهم.

المأمور: دكتور مختار تعالى بسرعة على القسم عاوزك وهات معاك عربية إسعاف.

صلاح: هنعمل إيه دلوقتي يا باشا؟

المأمور: أنا لو مش عارف أني هروح في داهية قبلك.. كنت طلعت دلوقتي قولت على عملتك وان شا الله يضربوك بالنار.

صلاح: أنا خدامك يا باشا.. أنا عندي فكرة.

المأمور: بس اخرس أنت لسا هتخربها أكتر ما هي مخروبة؟!

صلاح: طيب اسمعني بس

المأمور: قول.. الله يخربيتك قول

صلاح: حضرتك تطلع وتقول لهم إنه مش تحت.. مش عندنا في الحجز

المأمور: وبعدين يا فالح لما يفوق ويقولهم على الحقيقة؟

صلاح: يا باشا هيكون اتعافى ورجع أحسن من الأول... ساعتها غضبهم هيكون أقل من لو شافوه على شكله كده.. ده ضنا برضو يا باشا

المأمور: حنين أوي بروح أمك.. هي فكرة برضو.. وربنا يستر.

ثم صعد المأمور مكتبه.

المأمور: فريد بيه هو حضرتك متأكد أن حكم باشا هنا عندنا في القسم؟

سراج بانزعاج: أيوا.. طبعا.. الظابط اللي جا البيت عندنا علشان يفتشه مأكد لنا.

فريد السبع: يعني إيه.. هو مش تحت في الحجز

المأمور بصوت خافت متردد: لأ

سراج: ازاي يعني.. أومال ابني فين؟

فريد السبع: اهدا بس يا سراج علشان ضغطك..

ثم نظر إلى المأمور: ازاي يعني مش تحت أنت متأكد من الكلام ده؟

المأمور متمسكا حتى لا ينكشف أمره: أيوا أنا حتى قدام حضراتكم نزلت التخشيبة بنفسي..

ثم أردف: لو حتى عاوزين تنزلو بنفسكو تتأكدو من كلامي اتفضلو..

ثم صمت وأردف مسرعا: ده لو أنتم مش مصدقين كلامي.

سراج ارتمى على المقعد في موضع جلوس وخفض رأسه ووضع يده عليها.. ثم نظر إلى فريد وعيناه يغمرها غرة دموع: حكم فين يا فريد.. ابني فين؟

فريد السبع: يا سيادة المأمور أنا من هنا بحمل الداخلية.. كل الجهاز مسؤولية اختفاء ابننا.. ولو هشيل فيها وزير الداخلية هشيله.

المأمور: حضرتك أنا عملت اللي عليّ.. أنا مستعد أعمل أي حاجة تساعدك.

فريد السبع: تمام..

ثم نظر إلى سراج وأردف: ابنك النهاردة هيكون في البيت والداخلية هي اللي هتجبلنا حكم لحد عندنا..

ثم نظر إلى المأمور وأردف: تسمحلي بالتليفون

المأمور: طبعا حضرتك

فريد السبع بعد أن أدار قرص الهاتف: ألو.. أيوا يابني اديني مكتب معالي الوزير.. المستشار فريد السبع معاك..

ثم نظر إلى المأمور وكأنه يشعر بشيء ما وأردف: إحنا مش عيال علشان ظباط الداخلية يطقشونا لبعض.

****

فيلا ٥ – دار الشفاء – حوض اللبن – جاردن سيتي

٢٤ – يناير – ١٩٩٧

الساعة السادسة مساء

رن هاتف المنزل

شكري الحداد: ألو.. مين معايا؟

فريد السبع: معالي السفير.. حضرتك رجعت بالسلامة؟

شكري الحداد: أيوا يا معالي المستشار.. الحمد لله أنا رجعت دلوقتي.. إيه اللي حصل ده؟! سراج منهار ومش فاهم حاجة. ازاي يحصل لحكم كده.. هي خلاص باظت ولا إيه؟! هما مش عارفين مين أبوه؟! بقى سراج الحداد اللي بيتحكم في سعر الدهب في مصر أكبر رجل أعمال ابنه يحصل فيه كده؟!.. أنا لسا واصل وهقلب الدنيا مش هسكت وبكرة الصبح رايح لرئيس الوزراء أشوف حكم فين.

فريد السبع: اهدا بس معاليك.. أنت وشك حلو علينا.. أنا لقيت حكم خلاص.

****

المستشفى العسكري

الساعة السابعة مساء

دخل سراج وأمامه خديجة يدفعها بمقعدها المتحرك وعلى يساره شكري ويمينه فريد السبع وفيروز يسبقون خطوات بعضهم البعض متلهفين لملاقاة حكم.. يعاركون طول الممر المؤدي للغرفة.. دخلوا جميعا دفعة واحدة وجدوا فلذة كبدهم مستلقيا على صدره وذراعيه مرميان جانبي الفراش يكادان يلامسان الأرض من أثر شدة الهزال.. هرولت نحوه أمه ودفعت عجلات مقعدها المتحرك وارتمت بجسدها عليه وأمسكته بيدها واحتضنته وهي تبكي تمنت من الله في تلك اللحظة أن تكون غير عاجزة تريد أن تحمله في صدرها كما كانت تفعل وهو صغير.. بكت بصوت محشرج يدل على مدى وجع قلبها.. شهق سراج مما رأت عيناه. رأى ظهر ماء صلبة أزرق اللون خطوط الدماء المتجمدة يذوب لها من الحزن أقسى القلوب.. حملق فريد وشكري.. أما عن فيروز فبكت بصوت عال وجلست بجواره وأمسكت يده بأناملها الصغيرة وهي تقبل رأسه.

سراج لفريد السبع: هو إيه اللي حصل.. مين اللي عمل في ابني كده؟

فريد السبع: معرفش، أنا كل الحكاية أن مدير المستشفي يعرفني وعرف من حكم أنه ابنك فاتصل بيّ وكلمتك على طول.

اقترب سراج من حكم والدموع تغمر عينه: مين اللي عمل فيك كده يا حكم.. إيه اللي حصل؟

نظر حكم إلى أبيه والدموع تملؤ عينه.. انكسر أمام أهله.. ثم أردف بصوت موجوع: أنا لازم آخد حقي

سراج: لو مين اللي عمل فيك كده.. ومهما كان اللي في ضهره مش هسيبه.

شكري: إيه اللي حصل يا حكم.. مين اللي عمل كده.. أنت كنت فين اليومين اللي فاتو؟

****

غرفة الأطباء بالمستشفى

مختار: ألو.. اديني يابني المأمور

المأمور: ألو.. مين؟

مختار: كارثة يا باشا.

المأمور: مختار!.. في إيه؟

مختار: لما دخلت الواد غرفة الإنعاش كان بيمر مدير المستشفى وسألني: مين ده قولتله لقيته مرمي قدام المستشفى.

المأمور: هو عرف مين الواد ده؟.. اوعى يا مختار تقوله.

مختار: يا باشا انتو كنتو ناسيين مع الواد البطاقة بتاعته الواد معاه محفظة فيها بطاقة والكارنيه بتاع الجامعة الأمريكية وبالصدفة طلع الواد زميل بنته في الجامعة اتصل عليها وعرف إن عمه شكري الحداد....

اتصل بشكري معرفش يوصله وبعدين قدر يوصل للمحامي بتعهم.. انتو ازاي سبتو معاه البطاقة والكارنيه؟.. هي الحاجات دي مش بتتاخد قبل ما يدخلو الحجز؟

المأمور: حظي المنيل.. العيال دخلت الفجر ملحقناش نعمل حاجة.. طبعا أهله هييجو دلوقتي.

مختار: باشا أنا خدت الواد ده وهو مش في وعيه.. يعني ماشفنيش.. طبعا هو دلوقتي هيقول على كل حاجة.. مش عاوز أدخل في مشاكل.. الواد ده واصل أوي.. أوي

المأمور: منا قولتلك نعالجه في الحجز

مختار: الواد كان محتاج يدخل الإنعاش عربية الإسعاف ماكتنش هتعمل حاجة.. احمد ربنا إنه مامتش.. وبعدين هو كده بعيد عنك كده لو كان فاق عندك كنت هتعمل إيه!

المأمور: كنت هفرج عنه وهوصله بيت أهله بس ميشوفهوش بالحالة دي.

مختار: أهو ده اللي حصل بقى.

المأمور: أعمل إيه؟.. أعمل إيه يا مختار أنت برضو ابن عمي ومراتك أختي.. لو حصلي حاجة هتسمع في العيلة كلها؟

مختار: بيع أمين الشرطة اللي عمل كده.. إلحق نفسك يا باشا.. إلحق نفسك.

****

فيلا ٥ – دار الشفاء – حوض اللبن – جاردن سيتي

٢٥ يناير /١٩٩٧

الساعة العاشرة صباحا

إنه يوم عيد الشرطة.. اعتاد التليفزيون المصري في ذلك اليوم نشر الإنجازات التي قامت بها وزارة الداخلية على مر العام يتم عرض القضايا التي قدمت للمحاكم اعتاد الشعب المصري على تلك القضايا فهي ما بين الإمساك بتجار المخدارات وضبط كميات كبيرة من الحشيش أو البانجو أو الهيروين أو الإمساك بتجار الآثار أو قضايا إرهاب أو دعارة.. ولكن كان هذا العام الأمر مختلفا بالرغم من أن الحادثة منذ يومين ولكن كانت القضية في كنف أسر المتهمين فقط ولكن اليوم عرضت في التليفزيون المصري وكتبت كل الصحف المصرية الحكومية منها والمعارضة.. كانت فاجعة بالنسبة للمصريين.. كيف.. ومتى انساق شبابنا وراء تلك الخرافات؟.. لماذا أصبح شبابنا هكذا.. يعبدون الشيطان؟

تحدثت الجرائد بكل ما أوتيت من قوة كانت الأخبار والعناوين ساخنة للغاية.. تلهف المصريون على شراء الجرائد ونفدت منافذ بيع الجرائد من كل النسخ الموجودة بها.

وقف سراج في بهو الفيلا ممسكا بجريدة الأهرام وقرأ بصوت عال: تحقيقات النيابة مع عبدة الشيطان.. حبس ٤٥ متهما ١٥ يوما وإخلاء سبيل ٣١ آخرين.. مخطط تقوده منظمات خارجية

لنشر الأفكار المنحرفة داخل مصر.

أما عن شكري فكانت في يده جريدة الأخبار يقرأ هو الآخر بصوت عال: النائب العام طلب ملف القضية أمس.

ثم قرأت ألفت الفيشاوي جريدة الدستور: الدكتور نصر فريد مفتي الجمهورية يطالب بتشديد عقوبة ازدراء الأديان.. إخلاء سبيل لاعب كرة القدم المتهم في قضية عبادة الشيطان.. والفنانة سوسن بدر لا تريد التحدث وتبرر أن ابنتها اتهمت زورا للتشهير بها.. ابنة الفنانة سوسن بدر ابنة الستة عشر عاما فيمن أمرت النيابة بالإفراج عنهم وإبراهيم نافع: يكتب شبابنا وخزعبلات عبادة الشيطان.

شكري: إيه ده.. إزاي يكتبو كده؟!!.. قال جمتله بذعر.

سراج: في إيه!

شكري ممسكا الجريدة: ابن رجل أعمال شهير يلقب بمحتكر الذهب كان ضمن هؤلاء إنه ح. س. ح.. هل العم الدبلوماسي يستطيع أن ينقذ اسم العائلة؟.. اتهم الشاب بالشذوذ الجنسي وما زال في المستشفى لحين انتهاء التحقيقات.. إزاي يكتبو كده دول فاضل يكتبو الأسماء بالكامل.. دي مؤامرة عليّ بقى علشان كرسي الوزارة.. أنا مش هسكت

سراج: فضحونا.. دي مصيبة.. ده تشهير الجرنان ده لازم يتقفل.. لازم اللي عملو كده يتحسبو.

ألفت: شكري أنا عاوزاك فوق.

قالتها ثم صعدت إلى غرفتها ثم تعقبها شكري

شكري: في إيه يا ألفت؟

الفت: أنت لازم تسافر

شكري: إيه أسافر! واسيب سراج وحكم؟.. إزاي يعني؟

ألفت: أنت دلوقتي الخسران الوحيد.. أنت مرشح لكرسي الوزارة.. ابعد عن العك ده

شكري: يعني أنا لما أسافر مش هيعرفو أني عمه..

ثم أمسك بالجريدة وأشار لها: أهو كاتبين أهه أني عمه

ألفت: طبعا مش قصدي كده بس أنت لو فضلت هنا النهاردة هتجري مع سراج في النيابة وبكرة في المحكمة ويا عالم بقى إيه تاني.. والصحافة تصور والجرايد تكتب.. واللي ماعرفش يعرف.. لكن وانت بعيد وبره محدش لا هيصورك ولا هيكتب عنك.. أنت ليك أعداء كتير وفي ناس هتموت على الكرسي يا شكري.

شكري فكر بضع دقائق ثم أردف: طيب ازاي أسيب سراج وابنه؟.. إنتي شايفه ازاي هو بيموت.. إزاي يا ألفت أسيبه.. ده أخويا وبعدين ده هو وخديجة اللي مربيين ولادي.. أزاي بس.. أقوله إيه؟

ألفت: أنت رجل دبلوماسي يعني وقتك مش ملكك جالك تليفون مهم ولازم تسافر بسرعة.. حاجة خارجة عن إرادتك وبعدين الصعبنيات دي مش بتنفع أنت رجل سياسة والسياسة يا شكري متعرفش المشاعر.. وعلشان موقفك يكون حلو أنا مش هسافر معاك وهقعد معاهم وانت قوله يومين وراجع.. بس اوعى ترجع إلا لما الدنيا تتظبط وانا كل يوم هبلغك بالجديد.. ولو صعبان عليك أخوك وابنه أوي بكرة هتقعد على كرسي الوزارة وابقى يا سيدي رجع حقهم زي مانت عاوز.. وبعدين هما معاهم فريد السبع أكبر محامي في البلد هتعمل إيه أنت زيادة عن اللي هيعمله هو؟!

شكري: كلامك صح.. أنا لازم أسافر.

****

مجمع محاكم مصر الجديدة

٢٦ يناير ١٩٩٧

الساعة العاشرة صباحا

مكتب رئيس النيابة

مصطفى عابد: يا ريس العيال دول مظلومة.. دول شوية عيال طلبة في الجامعات

خالد عبد التواب: بص يا مصطفى أنت لسا معاون نيابة لسا خبرتك قليلة وسنك صغير أنت لسا ماتمتش ال ٢٦.. مش معنى كده أني بقلل من شأنك لا سمح الله بس أنا النهاردة رئيس نيابة وتقريبا قدك مرتين في السن.. أنا في النيابة بقالي عشرين سنة شوفت كتير وقليل.. أول درس لازم تعرفه أن النيابة والمحكمة ما فيش حاجة اسمها دا غلبان ودا مظلوم.. في إثباتات.. في ورق.. لو أنت حاسس انهم مظلومين اشتغل كويس في التحقيقات واثبت ده.

مصطفى عابد: بس أنا مليش أني أحقق.

خالد عبد التواب: أنا هخليك تحضر كل التحقيقات واسأل المتهمين كل الأسئلة اللي أنت عاوزها.. بس أنت إيه اللي مخليك واثق كده أنهم مظلومين؟

مصطفى عابد: اكتشفت امبارح أن في ولد من المقبوض عليهم صاحب أخويا الصغير في كلية الهندسة اسمه حكم.. ابن سراج الحداد تاجر الدهب واخويا بيقولي انه شاب محترم جدا وراح زاره في المستشفى لما عرف من صحبته أصل والدها يبقى مدير المستشفى.

خالد عبد التواب: فعلا في ولد في المستشفى بالاسم ده المفروض أني أروح أحقق معاه النهاردة.. تحب تيجي معايا.

مصطفى عابد: يا ريت.

خالد عبد التواب: خلاص ساعة ونتحرك حضر نفسك.

****

مديرية أمن القاهرة

٢٦ يناير ١٩٩٧

الساعة الثانية عشرة ظهرا

المأمور: زي ما قولتلك يا توفيق بيه هو ده اللي حصل وانا مش عارف أعمل إيه.. وبعدين أنا كلمت حضرتك وقولتك العيال دول يروحو النيابة أهو شكلي هروح في داهية.. أنا مانتمتش من امبارح ومش عارف أعمل إيه؟

توفيق: انت ازاي تسمح لأمين الشرطة ده انه يعمل كده.. وبعدين يا أخي قولتلك العيال دول كريم دولا كريم يعني ولاد ناس أوي.. أنا المفروض أعملك إيه يعني؟

المأمور: توفيق باشا أنا طول عمري الراجل بتاعك أنت هتبعني ولا إيه؟

توفيق: أنت لو مكاني هتعمل إيه؟

المأمور: أنا مستعد أروح أخدم في أي حتة حلايب.. أسوان أي مكان لحد ما الجو يهدا.

توفيق سرح قليلا.. ثم أردف: خلاص جهز نفسك هبعتك شرم.. أنت برضو الراجل بتاعي وحبيبي.. شرم حلوه وكلها أجانب.

المأمور: ربنا يخليك لينا يا باشا.. عقبال ما تبقى مدير الأمن

توفيق: بس اسمع علشان تبقى في الأمان أول ما ترجع مكتبك هتكتب مذكرة.. طلع فيها عين الواد أمين الشرطة ده.. مذكرة تودية ورا الشمس وابعتهالي.

المأمور: ماينفعش نداري عليه يا باشا بقى وخلاص

توفيق: وانت متخيل أن فريد السبع ولا عيلة الحداد هتسكت.. دول هيقلبو الدنيا.. ولازم حد يشيل الليلة.. أنت خايف عليه ليه؟! أنا لو مكانك كنت ضربته بالنار.

المأمور: أنا بس خايف يقول أني كنت معاه.

توفيق: ومين قالك انه هيتحقق معاه أصلا.. أنا هوقف أمه عن الشغل بلاش بقى شغل بلطجة وقرف.

****

المستشفى العسكري

٢٦ يناير ١٩٩٧

الساعة الواحدة ظهرا

كان حكم جالسا مع أمه يتناول الغداء بمساعدة فيرزو دخل خالد عبد التواب ومصطفى عابد ومعهما الطبيب

الطبيب: مساء الخير.. قالها ثم قام بقياس درجة الحرارة عن طريق فمه ثم أردف: تمام.. الباشا رئيس النيابة كان عاوز ياخد منك كلمتين يا حكم.

حكم تنفس الصعداء: ما فيش مشكلة ثم نظر إليهم وأردف: مين؟ مصطفى عابد.. مش أنت مصطفى أخو هاني عابد اللي معايا في كلية الهندسة في ال إيه يو سي.

مصطفى عابد: بالظبط كده. ثم ابتسم: عامل إيه يا حكم؟

حكم: تمام الحمد لله.

خديجة: ممكن أحضر مع ابني التحقيق ده؟

خالد عبد التواب: مش هينفع يا أمي.. وبعدين هو مش تحقيق أوي إحنا هنسأل حكم سؤالين وهنمشي على طول علشان يستريح.

مصطفى عابد: ماتخفيش يا ماما حكم زي هاني أخويا بالظبط

فيروز: خلاص يا ماما نستنى برا شوية

خرجت فيروز مع خديجة تدفعها بمقعدها المتحرك ومعهما الطبيب

خالد عبد التواب: احكلنا بقى يا عم حكم من أول الحكاية.. وماتخفش من أي حاجة.

****

مديرية أمن القاهرة

مكتب التحقيقات

١ فبراير ١٩٩٧

صلاح الخفاش: يا باشا أنا معرفش حاجة عن اللي مكتوب ده

المحقق: إزاي يعني؟! مش أنت اللي عذبت المتهم في الحجز؟!

صلاح الخفاش: حضرتك المعلومات دي جاتلك منين بالظبط؟

المحقق: مذكرة كتبها فيك مأمور القسم اللي أنت فيه.

صلاح الخفاش: مندهشا.. المأمور!

المحقق: وكمان في التحقيقات الخاصة بالقضية اللي الولاد دول اتمسكو فيها كلهم حكو اللي حصل.

صلاح الخفاش: يعني يا باشا المتهم اللي انتو متهمني فيه ماشتكاش مني يبقى فين القضية؟ ولا هو علشان المأمور يتغطى عليه بقى أروح أنا في أبو نكلة؟!

المحقق: احترم نفسك وشوف أنت بتكلم مين.

صلاح الخفاش: مش قصدي بقى معاليك طيب أنا معترف بالتعذيب وبتهم المأمور هو اللي خلاني أعمل كده هاتوه بقى

وواجهونا ببعض.

المحقق مخاطبا الكاتب الجالس بجواره: اكتب يابني يتم إيقاف الأمين صلاح حنفي السيد عن العمل لحين انتهاء التحقيقات.

صلاح الخفاش: بقى كده.. طيب أنا برضو مش هسكت.. حسبي الله ونعم الوكيل ربنا مش هيضيع حقي علشان أنا مظلوم.

****

مجمع محاكم مصر الجديدة

٣ فبراير ١٩٩٧

خالد عبد التواب نظر إلى كاتب النيابة وأردف: بسم الله الرحمن الرحيم.. اكتب يابني.. إنه في الساعة العاشرة صباحا في يومه وتاريخه ترأسنا نحن خالد عبد التواب رئيس نيابة مصر الجديدة ومعنا مصطفى عابد وكيل النائب العام التحقيق مع..

ثم نظر إلى العجاتي وقال له: اسمك وسنك وعنوانك؟

العجاتي: أنور محمد مصطفى العجاتي.. ٤٤ سنة.. ٢٣ شارع نور الدين طه الزمالك.

س: حضرتك كنت الظابط المكلف بضبط وإحضار الشباب اللي كانو موجودين في القصر.. صح؟

العجاتي: صح.

س: إزاي عرفتم إن في شباب في القصر في التوقيت ده بالتحديد؟

العجاتي: في الأول جالنا شكوى من أكثر من حد من الجيران كان في بلاغات كتير.. بس معظمها كان بيقول إن القصر ده مسكون.. ناس كاتبه في البلاغات إنها بتشوف أنوار بالليل خرجة من القصر.. وبلاغات تانية بيقولو إن في أصوات.. طبعا الكلام ده محدش يصدقه بس معظم البلاغات اللي مقدمها ناس ليها

وضعها وزي ماحضرتك عارف إن المنطقة دي ناس كلهم من طبقات عالية في المجتمع فكنا لازم ناخد كلامهم على محمل الجد.

س: وامتى عرفتم أمر الشباب دول؟

العجاتي: بعد مراقبة طويلة جدا.. الكلام ده من أكتر من تلات شهور وشوية تحريات عرفنا الموضوع.

س: إزاي عرفتم معاد الحفلة وخصوصا أن الشباب كانوا مقررين إنهم يعملوها يوم ٢٣ يناير حسب التحقيق معاهم؟

العجاتي: إحنا كنا مستعدين ليهم من أسبوع واكتر وكل يوم بتكون القوة جاهزة.. أصل دي حفلة يعني لوش الصبح ممكن القوة تجهز في ساعة زمن وكل ما القوة تتأخر في المداهمة يكون التلبس أدق.. يعني بقى ده شغل مباحث.. الجدية في المواعيد بتكون مثلا في مداهمة تجار مخدرات حاجة كده بتاعة عشر دقايق يعني يا تلحق يا متلحقش.

هنا تدخل مصطفى عابد وأردف: حضرتك تعرف حكم الحداد؟

العجاتي: مش واخد بالي مين ده؟

مصطفى عابد: صاحب ابنك عزيز.

العجاتي: أنا معرفش كل أصحاب ابني.. أنت شاب وعارف الشباب كل يوم ملمومين على صحبة شكل.

مصطفى عابد: س: حضرتك كنت لوحدك في حملة القبض؟

العجاتي: لأ.. كان معايا نقيب عادل حسني وملازم أول شكري نوح.

س: ابن حضرتك كان فين وقت المداهمة؟

العجاتي: في البيت نايم.. هنا ارتبك لبرهة ولكنه تماسك مسرعا.

س: وسط الشباب اللي اتقبض عليهم أربعة صحاب ابنك عزيز وبيقولو انه كان معاهم في الحفلة كان في شابين وبنتين من ضمنهم حكم الحداد، وحكم بيقول ان ابنك اختفى وكان مصر على انه يروح معاه الحفلة وانه اختفى وقت القبض وماكنش معاهم في الحجز.. ردك إيه؟

العجاتي: كذب يا فندم أنا بأكدلك انه كان نايم في البيت.

س: إيه الإثبات على كده؟

العجاتي: الخدامة وبواب العمارة.

خالد عبد التواب ضاحكا: وهما الغلابة دول يا باشا يقدرو يقولو غير كده.

مصطفى عابد: س: تقدر تثبت أن ابنك كان في البيت من غير شهود.

العجاتي: لأ.. بص يا مصطفى بيه العيال دول كلهم ولاد ناس يعني كل واحد فيهم أبوه عنده محامي واتنين وتلاته وأسامي الله أكبر حيتان البلد في الدفاع والقضية دي قضية رأي عام يعني البلد كلها عرفت اسم الظابط اللي قام بالعملية فتلاقي واحد من السادة المحامين الأفاضل دور ورايا وعرف اني عند ابن اسمه عزيز فقامو خلو عيالهم يلطو ابني علشان يقلبو القضية بس دي كل الحكاية.

خالد عبد التواب: هل لديك أقوال أخرى؟

العجاتي: لأ

خالد عبد التواب: اكتب يابني وأقفل التحقيق في ساعته وتاريخه..

ثم نظر إلى العجاتي: ماشي يا أنور بيه، إتفضل امضِ وآسفين إننا ضيعنا وقتك.

العجاتي: تمام.. سلام عليكم

بعد أن خرج العجاتي

مصطفى عابد: الراجل ده كداب.. أنا متأكد أن كلام حكم مظبوط وان ابنه عزيز كان مع العيال دول.. يا خالد بيه ده حكم بيقول إنه كان مصر أنه يدخله الحفلة وصاحبهم صاحب العربية كان عاوز يروّح حكم وأنه عزيز ده كان مصر أنه ميروحش.

خالد عبد التواب: أنا كنت لسا بقولك إيه يا مصطفى.. النيابة ورق المحكمة ورق والراجل ده لو بيكدب فاحنا مانقدرش نقول

إنه كداب من غير إثبات.. وبعدين أنا مستغرب موقفك أوي.

مصطفى عابد: ليه بقى!

خالد عبد التواب: منين أنت بتدافع عن حكم والعيال دول ومنين عاوز تدخل واحد جديد القضية؟

مصطفى عابد: مش عارف بس حاسس أن الموضوع كبير.. كبير أوي.. أكبر حتى من العيال دي.

****

منزل العجاتي – الزمالك

٣ فبراير ١٩٩٧

العجاتي: إنت ازاي تعمل كده.. أنت مستهتر وهتضيعنا.

عزيز: إيه ده أنت متعصب ليه يا بابا مانت كنت لحد امبارح فرحان بمساعدتي وجبتلي العربية اللي طلبتها منك.

العجاتي: أنت خدت معاك واد اسمه حكم في الحفلة؟

عزيز: آه.. ما له زفت ده؟

العجاتي: ازاي خدته معاك ومقولتليش.. أنت مش كاتب أسامي العيال اللي راحو معاك وكانو بنتين والواد اللي راح بالعربية.. مقولتليش ليه على حكم ده!

عزيز: عادي يعني.

العجاتي: هو إيه اللي عادي؟! يعني أنا عمال أعمل تحريات شهر على العيال اللي هيركبو معاك ووافقت أنك تتدخل من خلالهم الحفلة وعارف أنهم عيال مقاطيع وأهاليهم اللي في الخليج واللي في السعودية وملهمش حد.. كل دا علشان محدش يجيب سيرتك تقوم أنت تنشل على واحد وتاخده من غير ماتعرفني ويطلع عمه سفير وابوه من تقايل البلد.. أنت خدت الواد ده ليه؟

عزيز: علشان كنت عاوز أخلص منه.

العجاتي: ليه؟

عزيز: علشان بحب فيروز بنت عمه ولما صرحتها قالتلي انها بتحب حكم فحبت أكسرها وأكسره.

العجاتي: يعني أنت علشان مراهقتك الهبلة دي تضيعني.. وتضيع نفسك؟.. أنت فاكر ياض أن علشان أنت ابني هحميك؟.. دانا وانت ممكن نروح في داهية في ثانية واحدة.. خطة عملها ناس تودينا ورا الشمس كان ممكن يبوظها عيل زيك علشان حبيبة قلبه.. دحنا اتنين كمبرس كنا في التمثلية.. ربنا يستر بقى وتعدي على خير.. وحكم ده يكتم لسانه.. الباشا الكبير لو عرف هتبقى وقعتي سودة.. أنا لازم اتصرف.. لازم.. وانت ياض هات مفاتيح العربية واوعى.. اوعى تخرج من البيت من غير معرف.. جاتك الهم.

****

نادي الصيد – الدقي

٤ فبراير ١٩٩٧

العجاتي: أنا عارف أن حضرتك قولتلي ماينفعش نتقابل تاني بس حصل شوية حاجات لازم تعرف بيهم

الرجل: عارف، كان بيتحقق معاك امبارح بخصوص اللي ابنك الأهبل عمله.

العجاتي مندهشا: حضرتك عرفت اللي عزيز عمله؟!.. بس والله يا باشا ده مجرد طيش شباب

الرجل: عارف يا عجاتي الغباء دايما هو اللي بيهدم كل شيء وابنك بس الله ما شاء الله طالع غبي

العجاتي: يا باشا أنا خدامك وتحت أمرك

الرجل: عجاتي أنت كنت بتساعدني في القضية دي.. دلوقتي أنا اللي بساعدك ودي حاجة متعجبنيش

العجاتي: أنا آسف.

الرجل: امشي يا عجاتي أنا هحلها.. بس كده انت عندك وحدة.. المرة الجاية مش هيبقى في يامه ارحميني

العجاتي: أوعدك ما فيش مرة تانية.

****

مجمع محاكم مصر الجديدة

٥ فبراير ١٩٩٧

خالد عبد التواب متحدثا بالهاتف: يا فندم وفيها إيه يعني لما أمرت بالتحقيق مع ظابط في أمن الدولة؟..

قالها ثم صمت ليسمع المتحدث.. ثم أردف: يا فندم مش هو الظابط اللي قام بالعملية.. ثم صمت مرة أخرى.. تمام يا فندم. قالها وأغلق الهاتف.. ثم ضغط على زر فوق سطح مكتبه.. دخل الساعي فقال له: ابعتلي مصطفى عابد.

دخل مصطفى عابد: صباح الخير يا خالد بيه.

خالد عبد التواب: صباح الخير يا مصطفى.. قالها بصوت حزين.

مصطفى عابد: خير يا خالد بيه.. في حاجة ولا إيه؟

خالد عبد التواب: حضر لي ملف القضية وهاته.

مصطفى عابد: خير.. ليه؟

خالد عبد التواب: هسلمه لرئيس النيابة الجديد.

مصطفى عابد: رئيس النيابة الجديد!.. هو حضرتك هتتنقل؟

خالد عبد التواب: آه.. هتنقل نيابة المنيا.

مصطفى عابد: المنيا!.. ليه؟

خالد عبد التواب: علشان في حاجات أكبر مننا بتحصل.

مصطفى عابد: مش فاهم يا خالد بيه.. هو في إيه بالظبط؟

خالد عبد التواب بصوت متعصب: في إيه يا مصطفى أنت هتحقق معايا ولا إيه!

مصطفى عابد مندهشا فهو لم يعتد على هذا الأسلوب من رئيسه ومعلمه فقال خالد: أنا آسف معلش.. أنا هاخد أجازة يومين وهطلبك نقعد مع بعض برا المكتب.. أنا محتاج أرتاح شوية.

مصطفى عابد: أنا عمري ما أزعل منك يا خالد بيه.. أنت أكتر من أخويا.. ثم اقترب منه واحتضنه.. سمع صوت بكاء رئيسه ولكنه تجاهل الوقف حتى لا يشعره بضعفه.

****

دار القضاء العالي

١٠ فبراير ١٩٩٧

كان الشباب واقفين بالملابس البيضاء خلف قضبان قفص الاتهام يرتدون جميعا شبابا وفتيات قناعا أبيض على وجههم هروبا من أعين الكاميرات.. مطأطئي الرأس لا يخفي القناع دموعهم.. لا يخفي القناع نظرات الخزي والحزن المرتسمة داخل عيونهم.. كان حكم بينهم يرتدي مثلهم الزي الأبيض والقناع ولكنه كان جالسا على كرسي فما زالت حالته الصحية غير مستقرة.

كانت القاعة مليئة ما بين أسر المتهمين والمحامين والصحفيين والمصورين.. علا صوت هيئة الدفاع وعزف فريد السبع سيمفونية قانونية بهرت الجميع.. يقوم أحدهم بالطعن في التحقيقات ويقوم الآخر بالطعن في أمر الضبط والإحضار.. وجاء وقت النطق بالحكم.

انتظر الأهالي والمتهمون وكل من بالقاعة جلسة المداولة بفارغ الصبر.. انتظروا حكم القاضي في مستبقل أبنائهم.

خرج القاضي من غرفة المداولة وصاح الحاجب بصوته الجهوري.. محكمة.

جلس القاضي وفتح ملف القضية أمامه وأردف: يقول الحق في كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ

﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾[١]

صدق الله العظيم

وبعد أن استمعت المحمكة لهيئة الدفاع وبعد سماع أقوال الشهود وبعد الاطلاع على ملف القضية بالكامل ومداولة السادة المستشارين.. اطمأنت المحكمة لحكمها.. حكمت المحكمة حضوريا ببراءة جميع المتهمين في القضية المنسوبة إليهم والإفراج عنهم من سرايا النيابة ما لم يكن أحدهم مطلوبا على ذمة قضايا أخرى.. رفعت المحكمة.

صاح الجميع الله أكبر وبكى البعض من شدة الفرح وعادت الروح للمتهمين وعادت الأعين ترى ضوء الحياة مرة أخرى.. كادت خديجة تقف على قدميها من شدة الفرح وبكى سراج وهرول نحو ابنه يقبل رأسه وذرفت أعين فيروز دمعا من المشهد.. أما عن حكم فشرد ولم يشعر بشيء وكأنه فقد الإحساس وتذوق المشاعر.

عادوا جميعا إلى المنزل.. دخل حكم غرفته.. كان ينتظره الجميع متلهفين لملاقاته ولكنه دخل غرفته وأغلق على نفسه بابها.

****

---

١ الملك: ٣-٤.

في الصباح طرقت فيروز باب غرفته فلم يجب فصاحت لسراج فصعد ودخل غرفته وإذا بالصدمة.. وجدوا الغرفة فارغة أخذ حكم كل ملابسه وأغراضه وترك ورقة مكتوبا بها: أبي وأمي سأفقدكم كثيرا ولكني لا أستطيع البقاء هنا تلك الأيام.. سأبحث عن أرض أخرى.. مكان آخر.. لا أستطيع التعايش مع تلك الحياة.. سأعاني كثيرا إذا بقيت.. لن أستطيع مواجهة زملائي ولا حتى الخدم بالمنزل.. أشعر وكأنني فقدت رجولتي.. وكأني هزمت في حرب.. ولكني سأتعافى يوما ما وأعود لكم.. لا أعلم إلى أين أذهب ولكني سأغادر بعيدا قدر المستطاع.. لا تبكوا.. ولا تغضبوا مني.. سامحوني..

ابنكم حكم

****

مبنى أمن الدولة

القاهرة :٢٠٠١

الشيخ نوح: يا عجاتي باشا قولتلك معرفش حاجة أنت هتكسب إيه بتعذيبي؟!

العجاتي: مش هسيبك يا نوح إلا لما تقولي مين اللي فجر الفندق في شرم الشيخ؟

الشيخ نوح: يا باشا بقالي أسبوع مرمي هنا والله معرفش.. أنا خلاص بعدت عن الجماعة دي.

العجاتي: بعدت إيه يا نوح؟ يا راجل دا انت الأمير بتاعهم في مصر.. هو في أمير بيتنحى.. سبتهم إيه أنت كنت شغال في سوبر ماركت.

الشيخ نوح: عارف يا عجاتي باشا.. أنت أخرتك وحشة.. وحشة أوي.

العجاتي: أنت بتهددني!.. اوعى تفتكر أنك علشان راجل كبير ممكن ده يخليني أرحمك.. أنا مابيفرقش معايا الكلام ده.

الشيخ نوح: برضو يا عجاتي أخرتك وحشة.

هنا صفع العجاتي الشيخ على وجهه وصاح: صلاااح خد الراجل ده رجعه الحجز.

هنا دخل صلاح الخفاش فأخذ الرجل.. ثم عاد مرة أخرى إلى مكتب العجاتي.

صلاح الخفاش: باشا.. أنا عرفت مكان العيال بتوع الجماعة اللي تبع الشيخ نوح.

العجاتي مندهشا: فين؟

صلاح الخفاش: في كرداسة.. نتقابل بالليل هنقابل واد تبعنا هيقولنا على كل حاجة وامتى نهجم عليهم وندخلهم ازاي من غير مايهربو مننا.. كرداسة مش سهل دخول القوات فيها.

العجاتي: هات أمه هنا.. إحنا هنروحله برضو يا صلاح أنت هتخيب ولا إيه؟ دول ممكن يعملولنا كمين ويصفونا.

صلاح الخفاش: مهو برضو يا باشا الواد لو جا هنا ممكن يصفوه لو عرفو انه تبعنا.. وهو خايف على نفسه.

العجاتي: خلاص عدي عليا بالليل نشوف أمه.

صلاح الخفاش: تمام معاليك.

العجاتي: مقولتليش يا صلاح أنت بقالك هنا سنة وانا شايفك ما شاء الله ذكي.. أومال كنت موقوف عن العمل سنتين ليه؟

صلاح الخفاش: كنت مع ناس مش عارفين قيمتى بقى يا باشا.

العجاتي: ماشي يا صلاح نتقابل بالليل.

****

فيلا ٥ دار الشفاء – حوض اللبن – جاردن سيتي

٢٠٠١

فريد السبع: أنا مش موافق على أنت هتعمله ده يا سراج.

سراج: فريد.. ملكش دعوة بالموضوع ده بعد إذنك

فريد السبع: أنت هتقتل على آخر الزمن يا سراج.

سراج: يعني أنا هقتله بإيدي.. أنا هأجر واحد.

فريد السبع: كمان هتأجر واحد.. دي فيها إعدام يا سراج، العيال دول ملهومش أمان ويبعوك في ثانية.. سراج اللي أنت بتعمله ده أكبر غلط.

سراج: هو إيه اللي غلط يا فريد.. إيه اللي غلط؟.. ابني اللي هج مني ولحد النهاردة مش عارف أوصله ولا أنت بمعارفك حتى عارفين توصلوله.. ولا أمه اللي ماتت بعد هروبه بشهر من حزنها عليه.. أنا بقالي تلت سنين وعدت نفسي اني لازم أوصل للي عذب ابني والنهاردة عرفته.

فريد السبع: وانت مين قالك ان اللي اسمه الأمين صلاح ده هو اللي ضرب ابنك؟

سراج: أمين شرطة كان معاه في القسم اللي عرفني عليه الراجل اللي هينفذ العملية النهاردة بقالي سنين بدور عليه وعرفت من

شهر أنه رجع الشغل تاني في قطاع أمن الدولة وبالفلوس عرفت كل حاجة عنه.

فريد السبع: أنت كده بتعالج غلط بغلط.. حكم بهروبه ضيع حقه أنا كنت ممكن أقاضي كل القسم وكنت برتب لكده بس كنت مستني حكم يفوق بعد يومين تلاتة من الإفراج عنه وكان معايا شهادات من المستشفى أنه اتعرض للتعذيب.. لكن حكم خلاني أبل الورق واشرب ميته.. منين نروح نجيب حق واحد هو أصلا مش موجود.

سراج: فريد الكلام ده فات أوانه خلاص.. النهاردة يوم القصاص واللي يحصل يحصل أنا خلاص معنديش حاجة أبكي عليها مراتي وابني راحو مني أعيش لمين بقى لأخويا اللي سابني في عز محنتي.. روح يا فريد وسبني.. روح.

****

حي كرداسة

٢٠٠١

الشيخ عمار: عارف هتعمل إيه يا إبراهيم.

ابراهيم: عارف طبعا يا مولانا

الشيخ عمار: أنت هتقبلهم بحجة أنك هترشد على مكانا.. تركب معاهم العربية وتقف عند أول صلاح سالم بحجة أنك هتشتري حاجة من الكشك وهناك بقى الرجالة مستنياك.

إبراهيم: بإذن الله.

الشيخ عمار: ربنا معاك.. لو اتصبت فأنت شهيد عند الله.

إبراهيم: ربنا يكتب لنا الشهادة.

****

طريق صلاح سالم

٢٠٠١

وقفت سيارة العجاتي بناء على طلب إبراهيم عند الكشك المحدد.. نظر العجاتي لصلاح وأردف: انزل يا صلاح هاتلي علبة مارلبورو أحمر.. خرج العجاتي من السيارة.. كان أحدهم بالخلف يراقبهم من بعيد بسيارته وفجأة هجمت عليهم سيارة بها أربعة رجال ملثمين وفتحت النيران من كل مكان.. هرب إبراهيم وركب معهم السيارة وتركوا صلاح والعجاتي وبائع الكشك غارقين في

دمائهم.

اندهش من كان بالخلف وأمسك بهاتفه الجوال وطلب سراج.

الرجل: ألو.. سراج باشا هو أنت كنت باعت حد غيرى للعملية دي!

سراج: لأ طبعا.. ليه؟

الرجل: ده صلاح ده كان معاه واحد وطلع عليهم ناس صفوهم.

سراج: مات يعني!

الرجل: يا باشا ده سايح في دمه.

سراج: مين دول؟

الراجل: معرفش.

سراج: خلاص.. اهرب أنت.. وفلوسك برضو هتخدها أهم حاجة أني ارتحت.. والحمد لله ماراحش لربه على إيدينا.

****

فندق البارون

٢٠١٩

اليوم الأول

ما زال شاردا أمام شرفته لم يخرجه من شروده سوى صوت رنين هاتف الغرفة.. اقترب من الهاتف فأخبره أحد موظفي الفندق أن هناك شخصًا ما يريد الصعود إلى غرفته.. وبعد حوالي خمس دقائق طرق أحدهم الباب ففتح فوجد أمامه عاصم شكري ابن عمه!

حكم: مين؟ عاصم!.. كبرت أوي وشعرك ابيض.

عاصم: وانت كمان كبرت يا حكم.

حكم: ياااه.. ٢٢ سنة ماشفناش بعض.. تعالى في حضني..

ثم ارتمى حكم في حضن عاصم ولكن الآخر أبعده عنه بشيء من القسوة.. نظر إليه حكم وأردف: أنت مش عاوز حتى تخدني في حضنك بعد كل السنين دي؟!

كانت تلك اللحظة صعبة حقا على حكم.. كم انتهكنا بسبب أننا أعطينا مشاعر لمن لا يستحق.. من أصعب اللحظات التي تمر على الإنسان أن يلتقي بمن لا يبادلونه شعوره.. يهرول بعضنا نحو بعض بحب ولكن الطرف الآخر يجلعنا نندم أننا رأيناه أناسًا مثلهم.

عاصم: إيه اللي جابك يا حكم.. رجعت ليه؟.. إحنا قولنا إنك مُت!

حكم: راجع لأهلي.. بلدي.. يعني إيه راجع ليه؟

عاصم: أهلك!.. بلدك!.. إنت كنت فين السنين دي كلها؟.. افتكرت أهلك وبلدك بعد ٢٢ سنة!

حكم: ظروف.. بس خلاص رجعت.. ادخل يا عم احنا لسا واقفين على الباب.

دخل عاصم إلى الغرفة ثم أردف: ظروف!.. ظروف إيه اللي تخلي واحد يغيب عن أهله ٢٢ سنة.. بص يا حكم لو على أهلك فأمك وابوك ماتو.. واحنا خلاص أنا اتجوزت وفيروز اتجوزت وعايشين مع بعض في الفيلا وعندنا حياة وبيت وولاد مش عاوزين وساخة الماضي ترجع تاني.

حكم: وساخة الماضي.. هو أنت فاكر اني فعلا كنت...

هنا قاطعه عاصم: ولا فاكر ولا حاجة.. ارجع يا حكم مطرح ما جيت.. ارجع.. أنا عرفت من الظابط اللي كنت في مكتبه إنك رجعت.. يعني أول يوم ترجع تعمل مشاكل.. احنا لينا اسم النهاردة أكبر من أيام زمان ومناصبنا حساسة.

حكم: إنت مش هتمنعني إني أعيش في بلدي.. وبعدين الفيلا اللي أنت عايش فيها دي بتاعة أبويا يعني أنا صاحب البيت.

عاصم: إنت راجع بقى بعد السنين دي تدور على ورثك!

حكم: آه.. حقي

عاصم: بلاش الأسلوب ده يا حكم.. وعموما لو على حقك سهل بس ارجع برضو مكان ما جيت.. ارجع يا حكم.. قال جملته الأخيرة ثم انصرف.

****

فندق البارون

٢٠١٩

اليوم الثاني

كان أحدهم منتظرا حكما في قاعة الفندق

حكم: أهلا مستر وليم.

وليم: أهلا حكم.

حكم: إنت بتتكلم مصري!

وليم: أهه كويس كتير

حكم: تمام.. ها إيه الأخبار؟

وليم: الحكومة المصرية ووزارة الثقافة وافقت خلاص وهنستلم القصر بكرة علشان أعمال الترميم.

حكم: غريبة!.. الحكومة كانت ممانعة إنها تعمل أعمال الترميم للقصر.. إزاي وافقوا!

وليم: أبدا.. كان فيه ورثة للبارون إدوارد وخلاص خدو حتة أرض كبيرة في التجمع الخامس مساوية لسعر القصر النهاردة

حكم: تمام.. هنستلم القصر إمتى؟

وليم: كمان يومين

حكم: تمام.. تشرب إيه بقى؟

فندق البارون

٢٠١٩

اليوم الثالث

استيقظ حكم من نومه وبدأ في تناول الفطور بغرفته.. فتح التلفاز وبدأ يجوب القنوات وفجأة وجدها أمامه.. نعم هي فيروز الحداد.. تقدم برنامج حوار مع النجوم.. لم يغادرها الجمال.. ما زالت كما هي بوجهها الطفولي البريء.. ملامحها تغيرت بعض الشيء ولكنها ما زالت الأميرة التي تذكرها روايات الحب في العصور الكلاسيكية.. صوتها الدافئ وعينها الحالمة.. شرد وتذكرها.. تذكر عندما كانت طفلة تلعب معه في حديقة المنزل.. تذكرها عندما كانت تبكي لوفاة أمها.. واحتضانها.. تذكرها وهي معه بجانبه بالمستشفى.. ثم أفاق من شروده على صوت موسيقى انتهاء البرنامج.. أخرج هاتفه الجوال وبحث في محرك البحث غوغل عنها.. وجدها تعمل بشبكة قنوات الطريق.. فظل يجوب كل صورها ثم توصل إلى حسابها الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.. كان ينظر إلى صورها وهو يبتسم وفجأة وهو يتفصح الصور وجد المفاجأة وجدها بجانب عزيز العجاتي في حفل زفافهما!

هنا دخل حكم دورة المياه نظر إلى وجهه في المرآة.. وجد اللون الأبيض يغزو شعره.. مر العمر.. وفات قطار الأحلام.. لن

تعيد الأيام ذاتها مرة أخرى.. يمر الدهر مرة واحدة.. نندم كثيرا لأننا لم نغتنم بعض الفرص.. ونندم أيضا لأننا فعلنا بعض الأشياء.. نتجاهل مشاعر بعضهم لأننا نعلم أنهم يعشقوننا.. كم علاقة حب انتهت قبل أن تبدأ بسبب التجاهل.. ولماذا يعشق الإنسان الحب المستحيل.. ونترك من هم يشعرون بنا.. الأيام غريبة وأحمق من يظن أنه قادر على استيعاب لغزها.. نتقابل ونتشارك نحب ونكره ونظل في تلك الدنيا أجيالا عقب أجيال لا نستطيع أن نعي تلك الحياة!

****

فندق البارون

٢٠١٩

اليوم الرابع

مساءً كان حكم يستعد للخروج من الفندق.. طرق أحدهم الباب ففتح الباب فوجدها هي.. نعم فيروز اندهش كل منهما وظلا ينظر أحدهما إلى الآخر بضع دقائق وكأنهما يتأمل بعضهم البعض.. وفجأة ارتمت فيروز في حضن حكم وعانقته وهي تبكي ثم أردفت: كنت فين يا حكم كل السنين دي.. كنت فين؟

هنا أبعدها حكم عنه ونظر لها وأردف: إنتي دلوقتي ست متجوزة.. قال جملته بعتاب.

فيروز: وانت كنت فين يا حكم؟.. عاوزني استنى واحد ماعرفش هيرجع ولا لأ.. ماعرفش ميت ولا عايش.. إنت قاسي أوي يا حكم ماما خديجة ماتت واونكل سراج بسببك وبابا سابني ومات حتى طنط ألفت كله مات.. الدنيا صعبة أوي يا حكم صعبة وعاصم أخويا مش حنين زيك الدنيا ما رحمتنيش حتى ماما الأيام استكترتها عليّ.

حكم: تقومي تتجوزي مين عزيز العجاتي.. عزيز العجاتي ده سبب كل اللي حصل معايا.. عزيز العجاتي أوسخ إنسان قابلته في حياتي.

فيروز: وانت كنت بتحبني يا حكم؟!.. كتير وضحت لك وانت ولا انت هنا.

حكم: لما كنت برا محدش بعد أمي وابويا كان وحشني قدك.. كان نفسي أرجع أخدك.. أخدك لأبعد مكان.

فيروز: ومارجعتش ليه يا حكم.. مش كان زمانا دلوقتي أحسن.

حكم: نزلت مصر بعد ما بابا مات بسنة وعرفت أن بابا وماما ماتو رجعت تاني ويا ريتني ما رجعت.

فيروز: رجعت فين؟

حكم: كنت عايش في أمريكا

فيروز: وعشت ازاي السنين دي كلها؟

حكم: اتبهدلت شوية وبعدين فتحت مكتب هندسي

فيروز: إتجوزت يا حكم؟

حكم: آه

فيروز: أمريكية؟

حكم: وعندي منها بنت. قالها وعينه بها شيء ما

فيروز: هترجع تاني أمريكا؟

حكم نظر في عينها وكأنه يريد أن يخبرها بشيء في نفسه.. ولكنه صمت

فيروز: هترجع؟

حكم: مش عارف.

فيروز: أنا لازم أمشي دلوقتي عندي حلقة في البرنامج

حكم: إنتي عرفتي ازاي اني هنا؟

فيروز: سمعت واحد ظابط كان بيكلم عاصم في التليفون

حكم: هنتقابل تاني

فيروز: لازم

حكم: تحبي أوصلك

فيروز: لأ عزيز معايا تحت في العربية

حكم: هو عارف انك طالعة عندي؟!

فيروز: لأ طبعا أنا قلت له إني هقابل واحدة صحبتي.. أكيد عاصم متكلمش معاه.. هما أصلا مابيحبوش بعض.

حكم: سلام يا فيروز

فيروز: خايفة أسيبك تغيب تاني عشرين سنة.

حكم: مبقاش ينفع.. هو العمر فيه كام عشرين سنة.

****

مبنى المخابرات العامة المصرية: ٢٠١٩

حازم الرفاعي: جاهز يا حازم؟

نور الجوهري: جاهز معاليك.

حازم الرفاعي: الفار دخل المصيدة.

نور الجوهري: دخل معاليك وطول عمرهم بيدخلو المصيدة.

حازم الرفاعي: على خيرة الله.

****

قصر البارون: ٢٠١٩

اختلف القصر كثيرا.. اختفى لون الجدار ونسجت العناكب مدنا بأكملها في كل ركن من أركانه.. دخل حكم ومعه لجنة من وزارة الآثار المصرية ووزارة الثقافة لتسلم القصر.. فالشركة الأمريكية التي يعمل بها حكم عرضت على الحكومة المصرية ترميم القصر عدة مرات ووافقت الحكومة المصرية في خطة إحياء المباني القديمة.

تذكر حكم ما حدث له وصعد إلى الغرفة وتذكر لحظة القبض عليه ولكنه تماسك. تسلمت الشركة الأمريكية القصر وبدأت أعمال الترميم.

****

فندق الفورسيزون

القاهرة

٢٠١٩

وليم: الحكومة المصرية عاوزة تسحب القصر مننا

حكم: ليه؟

وليم: في ناس في مجلس الشعب ناقشت إن شركة المقاولات المصرية هي أولى من الأجانب

حكم: وبعدين إيه الحل؟

وليم: إنت النهاردة هتروح تقابل صاحب قنوات الطريق ده راجل من رجالتنا.. هو عارف هيعمل إيه كويس

حكم: قنوات الطريق..!!

****

مدينة الإنتاج الإعلامي

شبكة قنوات الطريق

انتظر حكم أمام مكتب الرئيس التنفيذي للقنوات.. وبعد نحو نصف ساعة سمحت له مديرة المكتب بالدخول

دخل حكم المكتب فوجد أمامه عزيز العجاتي.. تغير كثيرا تغيرت ملامحه أكثر حتى من صورة زفافه هو وفيروز .

حكم: أنت؟!

هنا همَّ عزيز من مقعده وهرول نحو حكم واحتضنه.. فأبعده حكم عنه

عزيز: معقول يا حكم أنت لسا زعلان مني بعد السنين دي كلها؟!

حكم: ضعيت عمري كله بسبب يوم مشيت وراك فيه

عزيز: بس اوعى تنسى إن بفضل اللي حصل ده أنت النهاردة بقيت في اللي انت فيه دلوقتي.. شوف أنت شغال مع مين.

حكم: حتى دول أنت وقعتني معاهم

عزيز: وانا ما لي بقى.. دا انا اتفأجئت من شهرين بس انك تبعهم.

حكم: يعني انت كنت عارف قبل ما أجيلك هنا

عزيز: طبعا.. مش بس كده عارف كمان ان فيروز كانت عندك

امبارح لما قالتلي انها طالعة لصحبتها.. أنا شغال مع الناس دي من زمان.. زمان أوي.

حكم: وفيروز عارفة؟

عزيز: لأ طبعا.. أنت ناسي يا عم أخوها مين؟!

حكم: ومشغلها هنا معاك في القنوات أنت مش خايف عليها؟!

عزيز: لأ أنا عاوزك جامد يا حكم كده.

حكم: سؤال بقالي ٢٢ سنة عاوز أسألهولك.. ليه حصل معانا كده؟

عزيز: قبل ما أجاوبك لازم تعرف أني عملت كده أنا وبابا الله يرحمه غصب عننا

حكم: غصب عنكم ازاي يعني؟!

عزيز: النظام السابق كان عاوز يقبض على شوية عيال يكونو ولاد ناس علشان يبان ان النظام مش بيضطهد الشباب اللي تبع الجماعات الإسلامية.. فبالقبض على عيال يكونو ولاد ناس ومقبوض عليهم في قضية ضد الدين.. دا يثبت ان النظام مش مضطهد الإسلام ولا الإسلاميين ولا الشباب اللي بينضمو للجماعات دي لأن معظمهم كانو شباب ولاد ناس على قد حالهم.. فيبان للكل أن النظام ضد أي تيار.. يعني تمشي يمين أوي لأ.. وتمشي شمال قوي لأ.. بس برضو كانو حنينين شدوكو شوية

وبعدين خلاص إدوكو براءة.

حكم: وانت وابوك بقى أداة النظام؟!

عزيز: بالظبط كده

حكم: أنت عارف أنا نفسي في إيه دلوقتي؟

عزيز: إيه؟!

حكم: أقوم أديك ميت قلم على وشك وبعدين أرميك من الشباك ده.

عزيز: اكبر يا حكم وشوف احنا دلوقتي شغالين مع مين.. بص لبكرة

حكم: مابقاش في بكرة بسببك.

عزيز: هعوضك يا حكم وهخليك تعيش أجمل الأيام

حكم: حسبي الله ونعم الوكيل.. نخلص بس من اللي احنا فيه وبعدين حسابنا هيبقى عسير

عزيز: نتكلم بقى في الشغل.. أنا عارف إن في أعضاء في مجلس الشعب عاملين قلق.. أنا بقى هعمل حملة في القنوات تنسيهم كل الكلام ده وعندي جريده محترمة. واللي فيهم مش هيسكت هيسكت إما بالفلوس أو بطرق تانية..

****

مرت الأيام كما هي يلتقي حكم بفيروز تقص له ما حدث في السنوات الماضية وتحكي له عن ابنها من عزيز البالغ ثلاثة عشر عاما.. وظلت قنوات الطريق تبث في نفوس المصريين قيمة قصر البارون.. وظل عزيز يشتري نفوس الضعفاء من المسؤولين حتى وافقت الحكومة المصرية على تكملة أعمال الترميم.. وفي يوم افتتاح القصر بحضور الخبراء الأجانب وعزيز وحكم تم القبض على الجميع من قبل جهاز المخابرات العامة المصرية!

****

مبنى المخابرات العامة المصرية

حازم الرفاعي: الغريبة يا حكم اننا ملقناش حاجة في القصر.. وعلى كلامك الموساد كان طالب منك أنك تساعدهم في دخول القصر عن طريق الشركة الأمريكية بحجة الترميم.. طيب كانو عاوزين ينزلو القصر ليه؟

حكم: حضرتك أنا زي ما قولتلك أنا لما هربت من مصر قعدت شهرين في دهب اتعرفت هناك على بنت ضحكت عليّ وفهمتني انها كان مقبوض عليها معايا في القضية.. سافرت معاها أمريكا وبعد ١٠ سنين اكتشفت إنها إسرائيلية.. ماكدبش عليك وقعت في شباكهم واتمسك عليّ أدلة.

حازم الرفاعي: عملت حاجة بخصوص مصر.. يعني ساعدتهم في حاجة تضر مصر؟

حكم: لأ.. والله العظيم لأ.. بس اشتركت في حاجات تضر دول في أفريقيا.. يعني أخبار ومعلومات

حازم الرفاعي: وبعدين

حكم: قررت أرجع مصر واللي يحصل يحصل حتى الست اللي اتجوزتها خلفت منها بنت وماتت طلقتها بس علشان يسبوني أرجع شرطو عليّ اني أدخلهم القصر وان علشان الحكومة المصرية توافق على الترميم لازم الشركة الأجنبية يكون رئيسها التنفيذي في

مصر مصري.

حازم الرفاعي: للأسف إحنا مش لاقيين دليل عليهم

حكم: وعزيز؟

حازم: أهو ده الوحيد اللي لقينا عليه بلاوي وتسجيلات وان شاء الله هيتعدم.

حكم: وانا؟

حازم الرفاعي: انت ساعدتنا نعرف شبكة من أكبر الشبكات في مصر.. معلكش مسألة قانونية.. وكمان فيروز اتضح انها ملهاش أي علاقة بأفعال جوزها.

حكم: الحمد لله.

خرج حكم وفي يده فيروز من مبنى المخابرات.. تنفس كل منهما الصعداء.. لتبدأ الحياة من جديد.. وتعطيهما فرصة أخرى ينسجان بها أياما من اختيارهما.

****

الموساد الإسرائيلي

كان أحدهم جالسا على مكتبه وأمامه ملف مكتوب بخط اليد باللغة العربية بعنوان مذكرات (ألبرت شمعون).. يقص فيها ألبرت أنه تلاقى مع موسى وأخبره بأن من الأسرار التي تخرجها الأرض نباتا يجعل الرجل لا ينجب إذا اختلط بالماء.. وأنه هرب بسر العشب من قريته وجاء إلى مصر عندها علم أهل القرية بالعشب.. كان جده قد صنعه من نباتات عندما احتل الفرنسيون مصر واغتصبوا ابنته أمام عينه فقرر القصاص من الجنود الفرنسيين وظل يسقيهم العشب في الخمر حتى ينتهي نسل هولاء القوم الظالمين. وصل العشب جيلا بعد جيل إلى موسى وكان يعيطه الأب للابن الأكبر دون أن يعلم بقية الإخوة ولكن الأمر جاء عند موسى وافتضح أمره.. هرب بالعشب من قريته خوفا من أن يستخدمه المصريون نكاية بعضهم في بعض وجاء إلى القاهرة بعيدا عن كل من يعرفه.. مات موسى واندفن في غرفته سره معه..

دخل أحد الضباط بجهاز الموساد وأردف: مين اللي هيقوم بالعملية بعد فشل عزيز ووليم بسبب اللي اسمه حكم؟

الرجل: عذرا.. عذرا.. حفيد موسى ألبرت شمعون.

****

القاهرة – مصر – ٢٠٢٠

كان أحدهم جالسا يشاهد مباراة المنتخب الوطني مع نظيره الجزائري التي انتهت بفوز المنتخب المصري على الجزائري بفارق ثلاث نقاط.. على موقع اليوتيوب.. بعد أن انتهى من المشاهدة.. كتب تعليقا:

المصري: طول عمر المصريين أبطال.

الجزائري: جايح بزاف.

السعودي: والله مصري غبي.. طعمية.

المصري للسعودي: بس يا كبسة.

النهاية

تمت بحمد الله